۱۸۳۹۲ ۱۵۲۷

۱۸۳۹۲

احیاء العلوم

از عقل و زهد تا

پایان

. . .

عربی - اخلاق

عرفان



کتاب عقل و زهد : احیاء العلوم

بتاریخ ۱۶/۳/۱۳۵۲ از طرف کتابخانه

مرکزی دانشگاه تهران فیلم برداری شد

۱۵۲۷

۱۸۳۹۲



کتاب عقل و زهد : احیاء العلوم

تاریخ ۱۶/۳/۱۳۵۲ از طرف کتابخانه

مرکزی دانشگاه تهران فیلم برداری شد

مجتبی [illegible]

[illegible]

عوارى الزمان والايام
عند العبد الداعى [illegible]
ابن عبد الله زين العابدين الحسينى
وفقه الله سبحانه وتعالى [illegible]
بحق محمد وآله عليهم السلام

فقر و زهد

كتاب الفقر والزهد

الزوايا الثلث في المثلث [illegible] الزوايا التي في المربع [illegible] مربع اذا اضعفت
كحصل مثلثان [illegible] الزاوية [illegible] اضعف هذه المثلث واحد في هذا هكذا [illegible] والجمع [illegible]
[illegible] المثلث [illegible] الحقيقة وما بينا [illegible] الزوايا القائمات [illegible]
[illegible] والزاوية [illegible] ولهذا [illegible]
بالضلعين [illegible] الوتر [illegible] ان [illegible] مربع الضلعين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اذا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] المضروب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطبيعي [illegible]
[illegible]
[illegible]



من المحذورات الثلاث من الشكوى او الذل او ايذا المسؤول
فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا يرخص لاجلها هذه
المحذورات فان لم يكن فيها شي من ذلك فهو مباح مع الكراهة
ان قلت فكيف يمكن اخلا السؤال عن هذه المحذورات
اعلم ان الشكوى يندفع بان يظهر الشكر لله والاستغنا عن الخلق
ولا يسال سؤال محتاج لكن يقول انا مستغني بما املكه ولكن
تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة على الحاجة
وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل
فان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه
ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي
قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد
منه منة له بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم
للمنة لا محالة واما الايذا فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين
شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على
البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق



احياء العلوم

ابو حامد غزالی



لو لم يسأل لكان يلام فهذا ايضا فانه ربما يبذل حذرا من الملامة ويكون الآخذ آثما في الباطن الخالص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فلكذا الى يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير مبال به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحيا من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحيا منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحيا وخوف الملام وسياط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن رفعها الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه

يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى يغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشرا بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق

والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ
في الاخره بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا
زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون
البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك
التجمل في الزينه فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة
من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبه
عن بعض المعاصي صحيحه فان التوبه عبارة عن ترك المحظورات والزهد
عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على
ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر
على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور و
انصرف عنه ولكن العاده تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذن
الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخره او عن غير الله
عدولا الى الله وهي الدرجه العليا وكما يشترط في المرغوب
فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا
عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة

ولذلك

ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز
اذ جاءته الدنيا راغمه فتركها اما انا ففيماذا زهدت واما العلم
الذي هو المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافه
الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق
هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبه عن المبيع وكذلك من عرف
ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى
كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهو ابقى كما يكون الجوهر ابقى من
الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللالي فهكذا مثال
الدنيا والاخره فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان
الى الانقراض والاخرة كالجواهر التي لا فنا لها فبقدر قوة اليقين
والمعرفه بالتفاوت بين الدنيا والاخره تقوى الرغبه في البيع و
المعامله حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه ثم بين ان
صفقتهم رابحه وقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج
من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخره خير وابقى وقد يعلم

وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه و
يقينه واما لاستيلا الشهوه في الحال عليه وكونه مقهورا في
يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما
بعد يوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسره بعد الفوت
والى تعريف خساسه الدنيا الاشاره بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل
والى تعريف نفاسه الاخره الاشاره بقوله تعالى وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن فنبه على ان العلم بنفاسه
الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضه
ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعايه اللهم ارني
الدنيا كما تراها فقال عليه السلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني
الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله يراها حقيره
كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافه الى جلاله حقير والعبد يراها
حقيرة في حق نفسه بالاضافه الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى
بايع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا
لانه مستغني عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى

غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجه واحده بالاضافه
الى جلاله ويراها متفاوته بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي
يرى تفاوته بالاضافه الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر
عن حال الزهد فهو ترك فقط لانه بيع ومعامله واستبدال للذي هو
خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك
المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك
المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها و
علايقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج
من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وساير
الجوارح وظايف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ الثمن
فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي
بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا في
غايب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم اليه الغايب
حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته
ووفايه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك

لم يصف الله تعالى اخوه يوسف بالزهد في ابن يامين وقد كانوا قد قالوا
ان يوسف واخوه الي ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على
يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف
عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك
وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض
فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن
لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا تقدر عليه
لا تقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انه قد
اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تدلي بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق
غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك
عند فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت
له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا
غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات
والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما
وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس

ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة
النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا
عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى
لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني
ابا حنيفة قال ابن شبرمة لا ارى الى هكذا لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو
لكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك
قال جميع المسلمين على عهد رسول الله لفعلنا حتى نزل قوله تعالى
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم قال
ابن مسعود قال لي النبي عليه السلام انت منهم اي من القليل وما عرفت
ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخا
والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك
كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وانما
الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما
كل نوع من الترك فيتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة

وقوة وسخا وحسن خلق لكن لا يكون بهذا اذ حسن الذكر وميل القلوب
من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال
على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر
والثنا والاشتهار بالفتوة والسخا او استثقالا له لما في حفظ الاموال
من المشقة والعنا والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنيا ليس من الزهد
اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة
عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات
حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى
الله ويكون مشركا في حب الله غير الله او تركها طمعا في ثواب الاخرة
فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري
والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين
الجنة واشجارها وترك التجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة
وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة
على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير وابقى

وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا تجدي كبير نفع في الاخرة اصلا
بيان فضيلة الزهد قال الله تعالى فخرج على قومه
في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب
الزهد الى العلما ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا وقال تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فجا في التفسير على الزهد
في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال
وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق
ربك خير وابقى وقال الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة
فيه وصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه
وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها
في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع
المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة

بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال
عليه السلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق
عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما
كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه
ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال عليه السلم
اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى
الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في
قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي
الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله
وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي
ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا
ويحب الاخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال عليه السلم
ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة
فمن احبه فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات

ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق
اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا
قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة للنبي
عليه السلم انا مومن حقا قال ما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي
عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار
وكاني بعرش ربي بارزا فقال عليه السلم عرفت فالزم عبد نور الله
قلبه فانظر كيف بدا اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا
وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله اذ قال عبد نور الله قلبه
بالايمان ولما سيل عليه السلم عن معنى الشرح في قوله تعالى من يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا
دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك
من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود و
الاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام
وهو التجافي عن دار الغرور وقال عليه السلم استحيوا من الله حق الحيا
من الله قالوا انا نستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون

فمن اين ذلك يا ناقص الحيا من الله ولما قدم عليه وفد وقالوا ا
انا مومنون قال ما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلا والشكر
عند الرخا والرضا بمواقع القضا وترك الشماتة بالمصيبة اذا
نزلت بالاعدا فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون
ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة
ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله عليه السلم فقال من جا بلا اله
الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه
فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره
لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول
الانبيا ويعملون اعمال الجبابرة فمن جا بلا اله الا الله ليس فيها
شي من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخا من اليقين ولا يدخل النار
موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي
قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله
بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا
ثمرة الزهد والثنا على الثمرة ثنا على المثمر لا محالة وروي بن المسيب

عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه السلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل
الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه دا الدنيا ودواها واخرجه
منها سالما الى دار السلام وروي انه عليه السلم مر في اصحابه بعشار
من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسه
عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم
قال تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها النبي عليه السلم
وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها
فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك
الاية وفي حديث عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة قال عليه السلم تبا للدنيا تبا
للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله تعالى عن كنز الذهب والفضة
فاي شي ندخر فقال عليه السلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا و
قلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر اخرته وفي حديث
حذيفة عن النبي عليه السلم من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله
بثلث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع

أبدًا وقال عليه السلام لا يستكمل العبد الإيمان حتى أن لا يعرف أحب
إليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وروي
مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم
الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت بك من الجوع فقال يا عائشة والذي
نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبًا لأجراها حيث
سلكت من الأرض لكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على
غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة أن الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا
لآل محمد يا عائشة أن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر
على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني
ما كلفهم تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فوالله
ما لي بد من طاعته فإني والله لأصبرن كما صبروا وجهدوا ولا
قوة إلا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قالت له ابنته حفصة
حين فتح الفتوحات البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود
من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال
عمر يا حفصة ألست تعلمين أن النبي عليه السلام لبث في النبوة

كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية
ولم يشبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ونشدتك الله هل تعلمين أن النبي
عليه السلام لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو
وأهل بيته حتى فتح الله عليه خيبر نشدتك الله هل تعلمين أن النبي
عليه السلام قربتم إليه يومًا طعامًا على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك
عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على
دون ذلك أو وضع بالأرض نشدتك الله هل تعلمين أن النبي عليه السلام
كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها
فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها
باثنين كما كنتم تثنونها ونشدتك الله هل تعلمين أن النبي عليه السلام
كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبًا يخرج
به إلى الصلاة حتى يجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ونشدتك الله
هل تعلمين أن امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله كساءين إزار ورداء
وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل
به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك فما زال

عمر حتى ابكاهما وبكاهم رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج
وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو انه قال كان لي صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما فاني والله
ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد
الخدري عن النبي عليه السلام انه قال لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم
بالفقر فلا يجد الا العبا وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل
وكان ذلك احب اليهم من العطا الكثير وعن ابن عباس قال فلما ورد
موسى ما مدين كان خضرة البقل كانت ترى من بطنه من الهزال فهذا
ما كان قد اختاره انبيا الله والمرسلون وهم اعرف خلق الله بالله
وبطريق الفوز في الاخرة وقال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وقيل لعيسى يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه
فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الما فقالوا كيف تستقيم بنيان على الما
قال فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا وقال عليه السلام ان ربي
عرض علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك

واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس
انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه
وصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد
كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة
من السما افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة
ان تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك
واتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح
الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة
زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت
نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع لله تعالى فقال نبيا عبدا ثلاثا و
قال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه
في الاخرة وبصره بعيوب نفسه وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يحبك
الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال عليه السلام من اراد
ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد
في الدنيا وقال عليه من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن زهد

في الدنيا هانت عليه المصيبات ۝ ومن خاف من النار لهى عن الشهوات
ومن ترقب الموت ترك اللذات ۝ وعن عيسى وعن نبينا عليهما السلم اربع
لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر
وقلة الشيء ومن جميع الاخبار الوارد في مدح بغض الدنيا وذم حب
لاهلكوا فان الانبيا ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة فاليه
يرجع اكثر كلامهم مع الخلق تعليما واوردناه كفاية ۝ واما
الآثار فقد جا في الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله
عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم ۝ وفي لفظ اخر ما لم يوثروا صفقة
دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك فقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى
كذبتم لستم بها صادقين ۝ وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال
كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا ۝ وقال بعض الصحابة
لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قالوا كانوا ازهد في الدنيا
منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب
والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله عز وجل يزهدنا

في الدنيا

في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما
زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة
ثمانية ابواب فاذا اجتاز اهل الجنة البطا جعل البوابون يقولون
وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين
للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلث خصال
ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على
عظمي لحم واعطي ذلك كله ۝ ويروى ان بعض الخلفا ارسل الى الفقها
الجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف فلم يقبلها فقال له
بنوه قبل الفقها وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال
اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها
فلما هرمت ذبحوها لكي ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي
على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا
وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلم يلبس الشعر
وياكل الشجر ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر
لغد اينما ادركه المسا نام ۝ وقالت امراة ابي عامر كان حيثما

ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب قال أبو حازم من وجد الله
بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة
أو النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الأمر أعجل من ذلك وقال
إبراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين
حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور
بالمدح فإن فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت على المفقود فأنت
ساخط والساخط معذب وإذا سررت بالمدح فأنت معجب و
العجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب
إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا
وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته
فيما صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله عليه السلام إن الله يحمي
عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون
عليه وإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة
أكثر منه في الإعطاء المؤدي إلى السقم وكان الثوري يقول
الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح

برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع
من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن أدركت
أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون
على شيء منها أدبر ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم
يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر
ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط
فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم
على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة
دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا سيئة أحزنتهم
وسألوه أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا إلا بالمغفرة. **بيان درجات الزهد** وأقسامه
بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه
اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على
ثلاث درجات الدرجة السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها
مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها

ولكن على وجل وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل
الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه
ثم كيسه والزاهد اولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في
الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه
شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير
الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره
اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين
فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا
الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع
ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه
انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهو ايضا نقصان
الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد
في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف
ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى
ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة

الى الله ونعيم الاخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا
هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد
امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة
امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي
شي تتكلم قال في الزهد قال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال
ظننت انه يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل من يترك
الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات
والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه
فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال
القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه
يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة
ما ناله والشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول
مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت
فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في
المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراج الثقل فمن تركها

لينال عن الملك قريباً كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني بسائر
لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من
لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا
متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل
كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات
الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت
الزاهد في زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه
الا لانه يراه شيئاً معتداً به وما ذاك الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد
المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذا ايضاً لها
درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضاً باختلاف قدر
المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده
واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على
ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة
من النار وسائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر
الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيه

ان الرجل ليوقف في الحساب ما لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه
لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص
من الالم يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة
في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور
وغيرها وهذا زهد الراجين فانهم ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم
والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم لا آخر له
الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي
لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح
وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من
طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب
عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا
زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان
من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب
الا الدينار فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف

ان الجمع بين لذة اللقا ولذة النظر بالحور العين والنظر الى نقش القصور
وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يوثر غيره ولا نظن
ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور
متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة
ملك الدنيا والاستيلا على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة
الى لذة الاستيلا على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند
اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك
للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور
في نفسه اعلى والذ من الاستيلا بطريق الملك على كافة الخلق واما
انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل
ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن
نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر
عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل
ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل
اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه

حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في
كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع
من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي
الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع جميع
حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار
والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه
وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة
مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها
كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل
الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد
ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب
الشهوات من النسا والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة ثم رده في اية اخرى
الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع اخر

الى ابليس فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ورد الكل الى واحد
في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى
لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا
فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض
وانما مفارقته في الشرح مرة والاجمال اخرى فالحاصل ان الزهد عبارة عن
الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب
عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقا ليتمتع ويريد التمتع
الدائم بارادة البقا فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة
الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها
لم يردها ولذلك لما كتب الله عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون
البقا الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال
المنافقين اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيله كانهم بنيان
مرصوص فاستطرقوا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون
رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصا

على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكل من مات منهم على فراشه
يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه
كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة
وانا الان اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقبة
من اثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله عنهم
واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقا على الشهادة استبدال
الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة
او ثلاثين بمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود
فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا
به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه
او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس
وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا

هو الزهد في الجوف فبقدر ما املك من بطنك كذلك تملك من الزهد

وهذا اشاره الى الزهد في شهوه واحده ولعمري هي اغلب الشهوات

على الاكثر وهي المهيجه لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد

هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات

يحدث نفسه بالبقا فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن

الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج بطلب ذهب الزهد ولم يقصد

هذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال اويس ايضا الزهد

هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث

الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم

ولزوم السنه وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي

يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب

الجاه خاصه او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم

ما لا فايده فيها في الاخره وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في

الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول

مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال

هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشاره

الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد

هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال

اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول

من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلاله فقد اخذ باصل

الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فايده فان من

طلب كشف حقايق الامور من اقاويل الناس راها مختلفه فلا يستفيد

الا الحيره واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهده

من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر

لقصوره بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفه لاقتصاره على ما

حاجته وهو ان كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيره ولكنهم ذكروا

ما ذكروه عند الحاجه فلا جرم ذكروه بقدر الحاجه والحاجات

تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار

عن الحاله الراهنه التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف

فلا جرم الاقوال المخبره عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون

إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الدال
في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال قد سمعنا
في الزهد كلاماً كثيراً والزهد عندنا ترك كل ما يشغلك عن الله تعالى
وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث
فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرأ أبو سليمان قوله تعالى
إلا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال
إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام
الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه فأما بالإضافة إلى أحكامه
فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة كما قاله إبراهيم بن أدهم فالفرض هو
الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد
في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال
والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى وأما
بالإضافة إلى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد إذ لا نهاية لما يتمتع
به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء
فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء بل الأموال الظاهرة أيضاً

درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام
إذ توسد حجراً في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا قال
فما الذي بدا لك قال توسدك الحجر أي تنعمت
برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي
عن يحيى بن زكريا أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس
واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكان مسحه جبة من صوف
ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف
وعاد إلى ما كان وقال أحمد الزهد زهد أويس بلغ من العري إلى أن جلس
في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه
صاحب الحائط فقال ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم
بظل الحائط فإذن درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها وأقل
درجات الزهد في كل شبهة ومحظورة وقال قوم الزهد هو الزهد
في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم
رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن
فإن قلت فمهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله

فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس
ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف
من الدنيا الى الله الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور
ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا
على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على
العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو
منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا
عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق
الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على
دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في
صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر
والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد
التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو
شرط الزهد فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع
فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد

قد يستلذ

قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال العطش ومن يقضي حاجته
قد يستريح بذلك ولكن ذلك لا يكون مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون
القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار
وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لاجل الاستراحة
فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب
موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة وانس القلب معه
فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان في الانس بالله لقدر وقوع الانس بغير
الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف فيه ماؤه وكان لا يرفعه
من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه
مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط
فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد
لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين
بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة اعلم
ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول

كالخبز المسموم مثلا اذ غاية الانسان انما يشتهي الانسان لمرض
وهو قادر على المشي والهضم لا لاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل
اصناف الفضول لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا
تتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه
الزهد فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه
والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد
ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه
في كتاب الريا من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات
الستة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه
ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به
الزهد **فاما** طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك
طعام يومه فلا يقنع به **واما** عرضه ففي مقدار الطعام
وجنسه ووقت تناوله واما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل
واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة
الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر

من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا **الدرجة الثانية**
ان يدخر لشهر او لاربعين يوما **والثالثة** ان يدخر لسنة فقط وهذه
رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال
لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا
اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي
فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد
اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة
الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه
رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في طعام المساكين في الكفارة
وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على
الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب **واما** بالاضافة
الى الجنس فاقله كل ما يقوته ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز
الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز النخالة
وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد
فضلا عن اوائله **واما** الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه

الزيت او بشيء من الادهان ابدهم كانت اعلاه اللحم ابدهم كان
وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في
الاسبوع خرج من اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن
اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة
مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل
وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام او اسبوعا
وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع
المهلكات ولينظر الى احوال النبي عليه السلام والصحابة في كيفية
زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عايشة كانت تاتي اربعون
ليلة وما اوقد في بيت النبي عليه السلام مصباح ولا نار قيل لها فبم
كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة
والادم ٥ وقال الحسن كان عليه السلام يركب الحمار ويلبس الصوف
وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا
عبد اكل كما ياكل العبد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم انه
من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير

وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة
ثلثة ايام من خبز البر وكان عيسى صلوات الله عليه يقول يا بني اسرائيل
عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر
فانكم لن تقوموا بشكره ٥ وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم
في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتي النبي عليه السلام بقدح فيه شربة
من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه
ولكني تواضعا لله تعالى واتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد
وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها ٥ وقد قال يحيى بن معاذ
الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه
حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار
فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه
والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب
فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل
حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله
المهم الثاني في الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة

وهو كسا يتغطا به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعل وأعلاه أن يكون
معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد
الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه
القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين
فقد خرج عن جميع أبواب الزهد هذا من حيث القدر أما الجنس
فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ
وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستره سنة وأقله ما يبقى يوما حتى
رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه
ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج
إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته
ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن
يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه
إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت
لنا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض النبي عليه السلام
في هذين وقال عليه السلام إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس

وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار
أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر
رضي الله عنه من سره أن ينظر إلى هدي النبي عليه السلام فلينظر إلى
عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله
عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا واشترى النبي عليه السلام ثوبا
بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا
واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف
وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين
أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص النبي عليه السلام كأنه
قميص زيات ولبس رسول الله ثوبا واحدا سيرا من سندس قيمته
مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل هذا
عليك من الجنة تعجبا وقد كان أهداه المقوقس ملك الإسكندرية
فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين ووصله به
ثم حرم لبس الحرير والديباج وكأنه إنما لبسه أولا تأكيدا للتحريم
كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال

وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لأهلها الولاء فلما اشترطته
صعد المنبر فحرّمه وكما أباح المتعة ثلثا ثم حرّمها لتأكيد أمر النكاح
وقد صلى النبي عليه السلام في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر
إليها اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانية يعني كساء فاختار
لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير
جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا
الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة ولبس خاتما فنظر إليه على المنبر
نظرة ثم رمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم
وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما
فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني
ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه وعن سنان بن سعد
قال حيكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أنمار وجعلت
حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما أبهاها قالت
فقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه
إذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة

فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل
فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزلت
عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال عليه السلام إن من
خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة
ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى
أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض
فهذه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته
عامة باتباعه إذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وأوصى النبي عليه السلام
عائشة خاصة وقال لها إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة
الأغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعُدّ على قميص عمر رضي الله عنه
اثنا عشر رقعة بعضها من أدم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة
دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله

الذي هو ادنى من راسه وقال الثوري عن غيره البس من الثياب ما لا يشهرك
عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي
وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة
فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفين ونعليه بدرهم
واربعة دوانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال
بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها
ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله وهو
ما ستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو
ما طلب جوهره وبهاؤه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور
العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان الخواص
لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه
على راسه وقال بعض السلف اوائل النسك الزي وفي الخبر
البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه
تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخره له من
عبقري الجنة في تخات الياقوت واوحى الله الى بعض انبيائه قل لاوليائي

لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم
اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو
يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق
وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في
بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل يضرط
به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك
تتكلم في الزهد بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله تعالى
اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم
الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه قال
هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى عليه السلام عن
التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين ورئي فضالة بن عبيد
وهو والي مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير فقال
نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا
وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص
ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر اخلولقوا واخشوشنوا

واياكم ورث العجم عزيه وقصره وقال علي من زينا بزي قوم فهو منهم وقال عليه السلام ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه السلام ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمن قال النبي عليه السلام لا تلبسوا الشعر من اقبح الاشياء او لخمول وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمن لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى الله اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا عورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق

فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكسا شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي ٥

المهم الثالث المسكن وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرا او اجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة فلم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من سته اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البنا بان يكون الحص او القصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد

لنفسه فيقتنع من المساجد ... اما بطلب
القعود وسقوطان يطلب موضعا خاصا

ع

للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين
ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر
والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه
فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي
له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر من طول الامل بعد النبي
عليه السلام التوزير والتشييد يعني بالتوزير كف دروز الثياب فانها
كانت تشرشر والتشييد هو البنيان بالجص فانما كانوا يبنون بالسعف
والجريد وقد جاء في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشى البرود
اليماني وامر النبي عليه السلام العباس ان يهدم علية كان قد علا بها ومر
عليه السلام بقبة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء الرجل
اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه
النبي عليه السلام فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال
عليه السلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الما والطين وقال

عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه ونحن نعالج خصا
فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح
عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيته فقال هذا كثير لمن يموت
وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه
فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال عليه السلام
من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة
يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الما والطين وفي قوله تعالى تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض انه الرياسة والتطاول
في البنيان وقال عليه السلام للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في
السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني
بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني
بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني
به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بني له بالجص والاجر واول
من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف
جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف

ثم رأيته مبنيا من قصب ثم رأيته الآن مبنيا باللبن قال فكان أصحاب
السقف خيرا من أصحاب القصب وكان أصحاب القصب خيرا من أصحاب
اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله
وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه
لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة
العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة وقال
الحسن كنت إذا دخلت بيوت النبي عليه السلام ضربت بيدي إلى السقف
وقال عمرو بن دينار إذا علا العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك إلى أين
يا أفسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس
لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل إني لا أعجب ممن بنى وترك
ولكن أعجب ممن نظر إليه فلم يعتبر وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون
الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلتكم ويموتون
على غير دينكم **المهم الرابع** في الدنيا أثاث البيت وللزهد
فيه أيضا درجات فأعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحبه
إلا مشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط و

رأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل أثاث
فإنه إنما يراد لمقصود فإذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة
وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل
ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل
به وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل
الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل
الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة
واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاها أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس
النازل الخسيس فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع
أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول فلينظر إلى سيرة النبي عليه السلام
وسيرة الصحابة فقد قالت عائشة كان ضجاع النبي عليه السلام الذي ينام
عليه وسادة من أدم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش النبي
عليه السلام إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف وروي أن عمر
بن الخطاب دخل على النبي عليه السلام وهو نائم على سرير مرمول بشريط
فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه فقال له عليه السلام

ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما
فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على
سرير مرمول بالشريط فقال عليه السلام اما ترضى يا عمر ان يكون لهما الدنيا ولنا
الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل
يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من
الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فيه فقال انه لا بد لك
من متاع ما دمت ها هنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم
عمير بن سعد امير حمص على عمر فقال له ما معك من الدنيا فقال معي
عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي
ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل
فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي
فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم عليه السلام من سفره فدخل
على فاطمة رضي الله عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من
فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع النبي عليه السلام
وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب بهما وادفعهما

الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم فدخل
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي قد احسنت ورأى
النبي عليه السلام على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت
الدنيا ارسلي به الى فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا
جديدا وقد كان عليه السلام ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته
فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد اسهرني
الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليله
حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى
سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده
وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع
احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه
وجعل ثوبه فوقه

الفهم الخامس في المنكح

وقد قال قائلون لا
معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال
قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة
وقال كان ازهد الصحابة علي ابن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضع عشرة
سرية

والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله
من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمراة قد تكون شاغلا عن الله
وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما
سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح
افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه
وان لم يكن عليه افة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا
من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فذلك من الزهد
وان علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك احترازا من لذة
النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد
مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله عليه السلام من القربات
واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم تكن هي المطلب
والمقصد وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة
الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات
بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح
زهدا في لذته من غير خوف افة اخرى وهذا ما عناه سهل رحمه الله

ولاجله نكح النبي صلى الله عليه وسلم واذا انتهى هذا في حاله حال
رسول الله فانه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب
باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة
الوقاع والنظر ولكن ان يتصور ذلك لغير الانبيا والاوليا واكثر
الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله
وان لم يشغله وكان يخاف ان تشغله الكثرة منهن او جمال المراة
فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك وقال ابو سليمان الزهد
في النسا ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة والشريفة
وقال الجنيد احب للمريد المبتدئ ان لا يشتغل قلبه بثلث والا تغير
حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي
ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذن ظهر ان لذة النكاح كلذة
الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا المهم السادس
ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه
فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته

فافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محاله في قلب خادمه لانه ان لم يكن
له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب
هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاويه لا عمق لها
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب
اما لجلب نفع او لدفع ضرر او للخلاص من ظلم واما النفع فيغني عنه
المال فان من يخدم باجره يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما
يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجره واما دفع الضر فيحتاج
لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او ان يكون بين جيران
يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل
له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم
اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك
طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا
فان اشتغاله بالدين والعباده يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع
به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما
التوهمات والتقديرات التي تحوج الى مزيد في الجاه على الحاصل

بغير كسب فهي اوهام كاذبه اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى
في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه
بطلب الجاه فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير
منه دواع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله
وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشه اعني القليل منه فان كان
كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب وكان بعضهم
اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك
الى ما يكفيه اكثر من سنه فقد خرج عن حد ضعفا الزهاد واقويايهم جميعا
وان كانت له ضيعه ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها
مقدار ما يكفي ريعه لسنته واحده فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط
ان يتصدق بكل ما يفضل من كفايه سنته ولكن يكون من ضعفا الزهاد
فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا
من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين
في الدار الاخره من المقامات المحموده لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه
بالاضافه الى ما زهد فيه من الفضول والكثره وامر المنفرد في جميع ذلك

اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمن لا ينبغي ان يرهق الرجل الى الزهد
اهله بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شا معناه
ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم
لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من النبي عليه السلم
اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من
الحاجة فاكثر ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد
على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دوا نافع وما بينهما درجات
متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب
من الضرورة فهو وان لم يكن دوا نافعا ولكنه يسير الضرر والسم
محظور شربه والدوا فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط
فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما تساهل على نفسه ومن استبرا
لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة
فهو الاخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضروري
والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين
لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي

ان ابرهيم عليه السلم اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض منه
شيا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك
لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها
شيا فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين
وما وراء ذلك وبال في الاخرة وهو في الدنيا ايضا وبال كذلك
يعرفه من خبر احوال الاغنيا وما عليهم من المحنة في كسب المال
وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته
فياكلونه وربما يكونون اعدا له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو
معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود
القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يهلكها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا
فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر
كدود القز ينسج دائبا ويهلك غما وسط ما هو ناسجه
فكذلك كل من اتبع الشهوات فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما
يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل
والولد وشماتة الاعدا ومراياة الاصدقا وسائر حظوظ الدنيا فلو

فلو خطر له أنه أخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وكان
قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من
محابه باختياره كاد أن يكون هالكا لنفسه وساعيا في هلاكه إلى أن يفرق
ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل من قلبه
معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك
الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند
الموت أن يكون كرجل يشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجاذبة
من الجانبين والذي ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويتألمه من حيث
يسري أثره إلى قلبه فكيف الذي يحل بالمؤلم بالقلب مخصوصا
لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه
من حسرة فوت الرفيق الأعلى في جوار رب العالمين بالنزوع إلى
الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم إذ النار
غير مسلطة إلا على محجوب قال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم إنهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب
كاف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه فنسأل الله

إن القرب في سمعنا ما نعت في روع النبي عليه السلام حيث قال له عليه السلام
أحبب ما أحببت فإنك مفارقه ولما انكشف لأولياء الله أن العبد
مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاكا ودوا الفقر لنفسه
ورفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله
لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء أشد
فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا
ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب
وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه يقول أخاف أن يفسد
علي قلبي فمن كان له قلب كان يخاف من فساده والذين أمات حب
الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقال فأعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فأحال ذلك
كله على الغفلة وعدم العلم فلذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني
معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني قال لا أستطيع فقال عيسى
عليه السلام

يحب يدخل الغني الجنة او قال لشبه وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه
الا واربعة املاك ينادون في الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق و
ملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر
ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان
بالمغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا
لطول الحساب ❊ **بيان علامات الزاهد** اعلم انه
قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة
سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم
الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم معرفة
الناس حالهم ونظرهم اليهم ومدحهم لهم فذلك لا يدل على الزهد
دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل
الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد
مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص
في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس
يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين

التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون
لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم
خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق
والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية
اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم وظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم
فادعوها حالا لهم ما يلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص
فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي
ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود
ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال
ويفرح بفقده والثاني ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة
الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه والثالث ان يكون انسه
بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن
حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء
والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله

اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا انتهى بهم الزهد
فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمع وقد قال
اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا
وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر
اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي قال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون
في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي
عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من
المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان كان داود
الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها
في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه
ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية
لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها وكل من ترك
من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل

في الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد
حجرا كما فعله عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه
نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجري على الطمع في غاياته وان كان
قطع الرجاء من فضل الله تعالى غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجايب نعم الله تعالى
علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا نبعد في ان نعظم السوال اعتمادا
على الجود المجاوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استوا الغنى والفقر
والعز والذل والمدح والذم لاجل غلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه
العلامات علامة اخرى لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها
وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا
وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف علامته
وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف
النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوفي علم من اعلام الزهد
فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم
وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال سري
لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف

اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف
غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول
بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف
يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت
التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين قال اذا صرت من رياضتك
لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف
في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين
جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها
والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف
يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من
امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه
ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه
حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فهذا ما
اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم
الا بالتوكل فلنشرع في بيانه. تم الكتاب

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مدبر الملك والملكوت
المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق
العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط
والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه
والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد
الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم
لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة
الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل
توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد
قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا
اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام
من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين فهو في نفسه غامض

من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من
حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في
التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع
والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تغيير في وجه
العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق
فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر
ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء
الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا
ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن
الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه
بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله
في الشطر الثاني **فضيلة** التوكل أما من الآيات فقد قال الله تعالى
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وقال تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال تعالى إن الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة
صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن كان الله حسبه وكافيه

ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا
يبعد ولا يحجب وقد قال تعالى أليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية
من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فإنه سؤال
في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر
لم يكن شيئاً مذكوراً وقال تعالى ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم
أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ والتحق
إلى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى إن الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين أن كل ما سوى الله عبد مسخر
حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال إن الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وقال تعالى ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون
وقال تعالى يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه وكل ما ذكر في
القرآن من التوحيد تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل
على الواحد القهار **وأما الأخبار** فقد قال
عليه السلام فيما رواه ابن مسعود أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتي قد

السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئاتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال
ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول
لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم
فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال النبي عليه السلام سبقك بها
عكاشة وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال عليه السلام من
انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه السلام من سره
ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله تعالى اوثق منه بما في يده ويروى
عن النبي عليه السلام انه كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا الى
الصلوة فيقول بهذا امرني ربي قال الله عز وجل وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها وقال عليه السلام لم يتوكل من استرقى واكتوى
وروي انه لما قال جبريل لابرهيم وقد رمي الى النار من المنجنيق الك
حاجة فقال اما اليك فلا وفا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال

ذلك جبريل حين اخذ لربه واوحى الله تعالى الى داود يا داود ما من عبد يعتصم
بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واثنا الار
قد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت
الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله
وقيل لبعض العلماء في منامه من توكل على الله فقد احرز قوته وقال بعض
العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من
العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله تعالى
فقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق
مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين
تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال
هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام قال
هرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك
فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى
كل خير سبيلا ثم بعد كان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم
وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة
وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو
المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب
فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج
منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله
الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجمه قولك له الملك
والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول
وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول
فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق
بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض
الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي
لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب

اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة
بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب
فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله و
قلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين **والثانية** ان يصدق
بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام
والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو
مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة
من الواحد القهار **والرابعة** ان لا يرى في الوجود الا واحدا
وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث
لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا
بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية
نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا
عن السيف والسنان **والثاني** موحد بمعنى انه معتقد بقلبه
مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة
على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب

في الآخرة ان يرقى عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد
حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع
حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها
على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة
المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام
وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد
على قلب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم
يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة
الا واحد وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليها لا انه كلف قلبه ان
يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين
اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام
الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع
موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل
من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى
في التوحيد فالاول كالقشر العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى

والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة
العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو
كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك
في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى
به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم
الظاهر والباطن لكنه ينتفع به مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت
والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف
الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن
وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده
وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا
فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل
امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب
فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى
مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل
بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح

هو المراد بقوله تعالى ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما
ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه
لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك
توحيد الفعل مقصد عالي للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة
الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد
الحق فان **قلت** كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد
السما والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون
الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرارها لا يجوز
ان يسطر في كتاب فقد قال العارفون افشا سر الربوبية كفر
ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك
ممكن وهو ان الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير
ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه
وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ يقول انه انسان واحد

فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر
باله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده
والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد
ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة
فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار اخر
سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان
لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم
المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام
لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت
بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه
المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرى
كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار
الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا

أنت فقال داود في الأسفار لا يصح حالي في التوكل وقد كان من
المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفنا
في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد
فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل
الإجمال فإن قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتنا
التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس
التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث
وأما الأول وهو النفاق فهو واضح وأما الثاني فهو الاعتقاد فهو
موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل
المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي
ينبني التوكل عليه إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال
التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله
الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل
إلا الله تعالى فإن كل موجود من خلق ورزق وعطا ومنع وحيوة

وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمتفرد
بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه وإذا انكشف لك
هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك
وعليه اتكالك فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون
لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا
انفتح لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة
بالبصر وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبغي به
أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات
والثاني الالتفات إلى الجمادات أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك
على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر
وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استوا السفينة وسيرها
وهذا شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور ولذلك قال تعالى فإذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر
إذا هم يشركون قيل معناه أنهم يقولون لولا استوا الريح لما نجونا
ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهوا والهوا

لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك
الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة
الى الرقيع يضاهي التفات من اخذ ليحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه
وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع
ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم و
هو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد
الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة
وشكر الملك الكاتب المرقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة
والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد
مسخرات في قبضة القدرة تسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في
حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله
هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف
لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف
عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في
المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية

ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره
فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفى عنك فكيف لا تخافه وكيف
لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا
نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له
وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان
عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا
كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء
في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس
القلم يسود البياض ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا من صاحب
اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور
بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح
بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض
ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب
وهو جهل محض بل لارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حق

كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا
تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف
ولا صوت لا تسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع
الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك
فيه البهائم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا
هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي
كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست
وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض
مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها
كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية لها قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها
تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور
الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى
على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون

ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا
ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذن عن حكاية مناجاة
ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة
افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي
كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا نفهم به على الاجمال
كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات
وان لم تكن حروفا او اصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض
الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ وقد راه اسود وجهه بالحبر
ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم سودت
وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما انصفتني في هذه المطالبة
فاني ما سودت وجهي بنفسي لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة
التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما
وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت
في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم
بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي

وبدّدني كما تراه على ساحة بيضا فالسوال عليه لا علي فقال صدقت
ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه في اخراج الحبر من اوطانه فقال
سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة
الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحتني وبرت عني قشري ومزقت علي ثيابي واقتلعتني
من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر
ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح
على جرحي بسوالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت
ثم سال اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم
وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب
مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي تردني وتجول بي
في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شي منها مكانه
ولا يتحرك على نفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى
ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها
وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة
عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة

عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت دع
عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف
خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت لما ركبتها ولقد كنت راكبة لها
قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن
الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني
موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم
تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه
وهجومه وصولته اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة
عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك على
هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها
اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل
لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت
ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد
علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها
باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم

وقفت عليه وسمعت له وأطعت طاعة لكني أدري أني في دعة وسكون
ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد
وقفت عليه وقفا وأطعت طاعة إلزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم
حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما كان هو في التردد مع نفسه
والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فإذا
انجزم حكمه أزعجت بطبعي وقهرت تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم
بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فإني مهما رحلت
عن قوم وقد قدروا أن لا أفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت وأقبل
على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا إياهم على استنهاض
الإرادة وتنشيطها لإشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت
بنفسي لكني أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي لكني
بسطت وقال العلم إنما أنا نقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق
سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني
فسل القلم عني فإن الخط لا يكون إلا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل
ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت

منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على
غيره ولكني كنت أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما
مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط
ونقش وإنما خطني قلم فلست أفهمه فإني لا أعلم قلما إلا القصب و
لا لوحا إلا من الحديد أو الخشب ولا خطا إلا بالحبر ولا سراجا
إلا من النار وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط
والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له
القلم إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك
ضعيف واعلم أن المهالك في الطريق الذي توجهت إليه كثيرة فالصواب
لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل
ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استتمام الطريق إلى المقصد
فألق سمعك وأنت شهيد واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلثة
عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم
الملكوت وهو ورائي فإذا جاوزتني انتهيت إلى منازله وفيه

السبع والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف اسلم فيها
والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد
قطعت منها ثلاثة منازل اذ في اوله منزل القدرة والارادة
والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل
منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت
بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة
بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون
الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الجبروت
فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت
من غير تعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت
الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول
عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول
اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله
في عيسى صلوات الله عليهما لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل
له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري

واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري
اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة
قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك
القلم الذي اكتب به في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان
كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت
كوشف بالقلم اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف
بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته
والله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال
العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب
البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات
فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر
الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت
فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده
لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه

من جنس ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا لوح
وعظم فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه
وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف
نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن
معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه
وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق آدم على صورته الصورة
الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا
والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر
لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد
المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك
الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث
بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه
لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء
ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح

فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك
فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي
فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له
راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف
العلوم وكأن له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب وقال
نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن
اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره
وقال طال مقامي عندك ومرادي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة
القلم فاساله عن شانه وسافر اليه وقال له ما بالك تخط على الدوام في القلوب
من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات
قال لقد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب
القلم اذ سالته فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف
وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله خلق آدم على صورته قال
نعم قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي
يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى

للشيخين وانما الفرق في ظاهر الصور فقال من يمين الملك قال
العلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال
فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده
الى اليمين حتى شاهده وراى من عجايبه ما يزيد على عجايب القلم ولا يجوز
وصف شي من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير
وصفه وبالجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا
كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال
اليمين عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي
رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها
وانما محركها القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة وراى فيه من العجايب
ما استحقر عنده ما قبل ذلك وسالها عن تحريك اليمين فقالت انما
انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند
هذا كاد ان يزيغ وينطلق بالجراة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت
ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسال عما يفعل وهم يسالون
فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما

افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت
بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك
ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسالك
واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح صدري لاعرفك واحلل
عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في
الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك
فانته عنه وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال
سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن
للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي
اياك وان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به
فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته
يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا
ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا
فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسولته ومعاتباته وقال لليمين
والقلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا

حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكن اذا اخذ منه فيما كان الذكرى
علىكم الامر قصور وجهل فالان قد مع عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد
بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما سواه الا مسخرون
تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر وهو الظاهر
والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف
يكون هو الاول والاخر وهما متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن
والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى
الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر
بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل
الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة
واول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين
لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي
اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا
كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل يعني من انكشف له ان
الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى انه مبني على

التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه
فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت
كانكار قوم من السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في
الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا
حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم
الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه
مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا
ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك
ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه
فيترك فلا كل مرض يقدر على علاجه الاطباء فهذا حكم الجاحد
واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه ان ينظروا
الى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في
الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل التنقية اشتغلوا بتنقيتها
اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوت بصره ارشد
الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله بخواص اصحابه

وان كان غير قابل للفلاح فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه
في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت
بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد
الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل انسان
ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله
اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فيكون ذلك على حد ما رآه في عالم الشهادة فيغرس اعتقاد التوحيد
في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا
الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد
عاداتهم في المحاورة فان **قلت** فمثل هذا التوحيد الاعتقادي
هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد
اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف
ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة
التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد



الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى
انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان
ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين
الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا
مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم راوا
من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا
بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا
فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم
عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا
خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى فنسوا انه لا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم فكل من آمن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة
اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد
في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك

لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد
ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر
الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شا ويسكن ان شا فكيف يكون مسخرا
فاعلم انه لو كان مع هذا يشا ان شا ولا يشا ان لم يرد ان يشا لكان هذا
مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شا ويشا شا
ام لم يشا فليست المشيه اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيه
اخرى وتسلسل الى غير نهايه واذا لم تكن المشيه اليه فمهما وجدت
المشيه التي تصرف القدره الى مقدورها انصرفت القدره لا محاله
ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركه لازمة ضروره بالقدرة
والقدره محركه ضرورة عند انجزام المشيه والمشيه تحدث
ضروره في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس
للعبد ان يدفع وجود المشيه ولا انصراف القدره الى المقدور بعدها
ولا وجود الحركه بعد بعث المشيه للقدره فهو مضطر في
الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر
الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول لو انكشف لك الغطا

لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار وكيف
يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا
وجيزا يليق بما نذكره متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا
علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل من الانسان يطلق على ثلثه اوجه
اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئه والحنجره ويخرق الما اذا
وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق للما والتنفس والكتابه وهذه
الثلث في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف ورا ذلك
في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فتسمي خرقه للما عند
وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا وتسمي تنفسه فعلا اراديا وتسمي
كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف
على وجه الما او تخطى من السطح الى الهوا انخرق لا محاله فيكون الخرق
بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجره
الى اراده التنفس كنسبة انخراق الما الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا
وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الاراده ليست اليه ولذلك
لو قصدت عين الانسان بابره طبق الاجفان اضطرارا فلو اراد ان يتركها

مفتوحة لا يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل
صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة و
حدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل
بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما
الثالث وهو الاختياري فهو في مظنة الالتباس كالكتابة والنطق
وهو الذي يقال فيه ان شا فعل وان شا لم يفعل وتارة يشا وتارة لا يشا فيظن
من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه
وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشي موافق لك
والاشيا تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه
يوافقك من غير تحير وتردد والى ما يتردد العقل فيه فالذي
تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف
فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم
تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع
وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك
بالارادة ومن الاشيا ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه

موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل ام الترك
فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به
من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف
والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة
اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير فهو عين
تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو
ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير
روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة
وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا
قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان
تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو
اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد
ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما
فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا وقتله
نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضا ان يقتل نفسه الا اذا كان

في عقوبة مؤلمة لا تطاق فإن العقل هاهنا يتوقف في الحكم ويتردد لأنه
تردد بين الشرين فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شرا لم يمكنه
قتل نفسه فإن حكم بأن القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا
صارف عنه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف
للقتل فإنه يرمي نفسه من السطح مثلا وإن كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه
أن لا يرمي نفسه وإن كان لا يتبع إلا بضرب خفيف فإذا انتهى إلى طرف
السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه
أن يرمي نفسه ولا ينبعث له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة لحكم
العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل
مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور
فأما أن يكون منه فكلا ولا فإذن معنى كونه مجبورا أن جميع ذلك
حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا أنه محل لإرادة حدثت فيه
جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم أيضا جبرا فإذن هو
مجبور على الاختيار ففعل النار في الإحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى
اختيار محض وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار

فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما أن كان فنا ثالثا وتيمنوا فيه بكتاب
الله فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما
عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة
بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في
اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله إلا على نوع من الاستعارة والتجوز
وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فإن قلت فهل تقول
إن العلم ولّد الإرادة والإرادة ولّدت القدرة والقدرة ولّدت الحركة
وأن كل متأخر حدث من المتقدم فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث
شيء لا من قدرة الله وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على
البعض فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء
عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر
عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق إلا
الراسخون في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه وتحديد لفظه مع نوع
تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض
المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط

[illegible]

فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد
حيوة ولا حيوة الا بعد محل للحيوة وكما لا يجوز ان يقال الحيوة حصلت
من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن
بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين
بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك
جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل
المجانين تعالى الله عز وجل عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار
قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق وكل ما بين السما والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم
لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر
الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه
مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا يتاخر عنها
الارادة بعد العلم الا لفقد شرط وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب
الحق ليس في شي من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم
ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود

الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر
انسانا محدثا وقد انغمس في ما الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان
الما هو الرافع وهو ملاق له فتقدير القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات
متعلقة بها ملاقاة الما للاعضا ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل
رفع الحدث بالما انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف
في الما وجهه على الما عمل الما في سائر الاعضا وارتفع الحدث
فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث
عقيبه اذ يقول كان الما ملاقيا ولم يكن رافعا والما لم يتغير عما
كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث
من اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد
وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة
بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث
عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالما الملاقي لها لا بغسل الوجه
والما لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شي ولكن حدث
وجود الشرط وظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات

من القدرة الأزلية بمعان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع
باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا
التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو
المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار
التوحيد إلا قطرة من المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء
ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك
منطو تحت قولك لا إله إلا الله وما أخف مؤونته على اللسان وما أسهل
اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما أعز حقيقتها ولبها عند العلماء
الراسخين فكيف عند غيرهم فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد
والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله ومعنى الشرع إثبات الأفعال
للعباد فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وإن كان الله
فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم
فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له
معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير
فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر

فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا
أنه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلق فيه القدرة
بعد أن خلق الله فيه الإرادة بعد أن خلق الله فيه العلم فارتبطت القدرة
بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله
ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة
فإن محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد
قاتلا والأمير قاتلا لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين
فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولأجل توافق
ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة
ومرة إلى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الأنفس
حين موتها وقال أفرأيتم ما تحرثون أضاف إلينا ثم قال أنا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقال
فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا
وكان النافخ جبريل وكما قال فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير

معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل
صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت
بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب
به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن
علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال تعالى افرايتم ما
تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم
يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول
الله تعالى ما يشاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر يصور الملك ثم ينفخ فيه
الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك
الذي يقال له الروح وهو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه
يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم و
لذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق

يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن
ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تحكم مجرد وكذلك ذكر الله تعالى
في القرآن الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل
على نفسه وذلك ليس بمناقض لطرق الاستدلال بل مختلفة فكم من طالب
عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات
بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو
معنى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله
نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر
ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت
الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الاموات فاوحى الله اليهما كونا على
عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي
سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا يتناقض هذه
المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله
التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم

ان التوبه تاتي لا على الوجه الذي ياتي لانسان النهاوي لذلك لما قال
ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله
وكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق
والحقيقه لاهله ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير في
كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقه وجها واسم الفاعل وضعه
واضع اللغه للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا
بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله على سبيل المجاز
مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافه الى نسبته الى الجلاد
فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل
قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقه
ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى
حقيقه المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قاله شاعر قول لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل //

اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه

باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقه
الا القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته
فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون
ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه
اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب و
العقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم
ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا
هو القدر الذي راينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل
ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمه والحكمه فان التوحيد يورث
النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمه وسعتها هو الذي
يورث الثقه بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتي الا
بالثقه بالوكيل وطمانينه القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان
ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكايته طريق المكاشفين فيه طويل
فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب
فيه وحاصله هو ان يصدق تصديقا يقينا لا ضعف فيه ولا ريب

ان الله عز وجل لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم
وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا
منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف
لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف
وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم
امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه
الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة
ولا ان يرفع منها ذرة او يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص
او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم
الله عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها
البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما
قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر
وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه
بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي

ينبغي وليس في الامكان احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره
مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو
لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان
من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص
فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض
لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما
ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم
الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعيم على سكان الجنان
بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل
وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف
الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة
خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقاء على
الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي
بين الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق
لا لعب فيه وهذا الان بحر اخر عظيم واسع الاطراف مضطرب

الامواج تريب في الشبهة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين
ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقلها الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر
الذي تحير فيه الاكثرون ومنع عن افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير
والشر مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة
فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر و
حصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي
هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان
حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل
في الكسب للمنفرد وللمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان
التوكل في دفع الضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم
وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه
وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل

واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما
جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف
الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان
اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض
اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به
ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة
عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة
مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف
ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس
بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة
ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع
التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة والقوة
فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه
ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحيا
او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما

الفصاحة فمن اوتي ايضا من القدرة الا انه قدرة في اللسان على الافصاح
عن كل ما يختلج القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس
قادر بالذلاقة لسانه على حل عقدة واما منتهى الشفقة فليكون باعثا له
على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون
العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم يظفر
هلك حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد
منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه
الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع
ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله
في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال
فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا
لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكل في قوة الطمانينة والثقة
تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان
الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله
فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة

من الخصال الاربعة قطعية كذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع به
وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا
واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق
فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله عليه فان ثبت
في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت
مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية
والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا
وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية
ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه
ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما
سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن
الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك
فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعة
واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب
الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له

من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة
ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت
في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه
جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه
وان كان تعالى قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده
حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك
وهذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او المبيت
معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب
وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى
فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب
واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا
اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء و
اليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احيا الميت بعينه ليثبت
في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في

ابتدا امره الى ان يبلغ بالاخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون
في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم
اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرائز
لا ينفع اليقين معها فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان
ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب
حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان
مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف
معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة
لها في القوة والضعف ثلث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه
وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة
بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع امه
فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق
وكل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه

يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه فإنه قد وثق
بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له
ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر
على تلفيق لفظه ولا على إحضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك وراء
الإدراك فمن كان باله إلى الله ونظره إليه واعتماده عليه كلفاً به
كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً فإن الطفل متوكل على أمه
والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد فني في توكله
عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل
عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الأول
فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانياً عن توكله لأن له التفاتاً
إلى توكله وشعوراً به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه
وحده وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال
ترك الأماني قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة
الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه
الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته

مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه
القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بأنه
مجرى الحركة والقدرة ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح
ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثال صبي علم أنه فإن لم يزعق
بأمه فالأم تطلبه وأنه إن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسأل
اللبن فالأم تفاتحه وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك
الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداءً أفضل
مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق والمقام
الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال
من غيره فقط فإن قلت فهذه الأحوال هل تتصور وجودها
فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث
أعزها والأول أقرب إلى الإمكان ثم إذا وجد الثالث والثاني
فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه إلا
كصفرة الوجل فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب
طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع

وانقباضه عارض في الخجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة
الى الباطن حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من
ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب
الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول
والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة
المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم
مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع
العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام
الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت
والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال
كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل
التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله
في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك
التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته
وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له

لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون
هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته
في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل
ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا في قوله لما حضر
لقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته
انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان
يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل
مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير في الحضور
وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا في
توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته
واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد
ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر
لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه
الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته
وقد انتهى نهايته فلم يبق الا الطمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار

لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وعلمت
وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير
وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في
الأعمال فكان فزع المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار
لا ينافي التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره
باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فإذن لم يكن مفيداً من حيث أنه حوله
وقوته بل من حيث أن الوكيل جعله مفيداً بحاجته وعرفه
ذلك بإشارته وسنته فإذن لا حول ولا قوة له إلا بالوكيل إلا أن هذه
الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالق حوله وقوته
بل هو جاعل لهما مفيدين في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله
وإنما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول
والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين إذ جعلهما
شرطاً لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فإذن لا حول
ولا قوة إلا بالله حقاً صدقاً فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب
العظيم الذي ورد به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة

إلا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب
كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب
لمفهوم لفظها وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله
وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى وفي هذه الكلمة إضافة
لشيئين إلى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة وأما كلمة لا إله إلا
الله فهو نسبة للكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين
لتعرف به ثواب لا إله إلا الله بالنسبة إلى الإضافة هذا وكما ذكرنا من قبل
أن للتوحيد قشرتين ولبابين فكذلك لهذه الكلمات ولسائر الكلمات
وأكثر الخلق قد قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين فإلى اللبين
الإشارة بقوله عليه السلام من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه
مخلصاً وجبت له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق و
الإخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة إلى الإيمان
والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافه إلى مجرد الإيمان في بعض
المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث

وحركة اللسان حرث وعقد القلب ايضا حرث ولكنه حرث
نفسي وانما الصدق والاخلاص وراهما ولا يصعد سرير الملك الا المقربون
وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا
درجات عند الله وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى
لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك
فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب
اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين
وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح و
تتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذة الملك و
النزول في اعلا عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات
قدر لما وسعت على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة
افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة
بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزوان و
السفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال
مغبوطة من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله

في اعلى عليين فهيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون
حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل
ولسنا نخفي ان شبه كل شي منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة
الاساكفة والكناسين والدباغة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو
بالكناسين والدباغ والاساكفة اشبه في جوهره منه بالكاتب فكذلك
من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم اكثر من نزوعها الى نيل لذات
الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين
تعالى فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام
ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها ذلك للعجز واما
الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر
بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان
هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قوله
لا اله الا الله ومعنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله فان من ليس
قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت
ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شي الى الله

فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول
لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين
وانظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما
بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض
والسماء ليس من جهة الادميين بل هو من خلق الله فاما الحول والقوة
فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن
يدعي انه مدقق في الراي والمعقول حتى يستوي الشعر بجزه نظره فهي مهالكه
مخطره ومزله عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو
شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة
بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي
يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد
الا عقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم
والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات
وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك
عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة الى هذه الكلمة

ترجمتها فاذن رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل
على الواحد الحق وسنتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل ان شاء الله تع
بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل لتبين ان شيئا من اقواله
لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال
ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان
اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك
سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون
واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة
التوكل فما ذكره ابو موسى فهو حسن من اعلى احوال التوكل وهو
المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو
من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله
بالواجب فلا تمييز من اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل
العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد
قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك
الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز

ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الى ان يقال
فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة
على رسول الله لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره ويده
لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سبيلي ان امثال ذلك
واكثر منه لا ينقض التوكل فان حركة السر من الحيات من الخوف
وهو المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة
لها الا بالله فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في
الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري
عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة
الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه
تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال
القا النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى
التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل
فقال ان كان لك عشرة الف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت
ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الف درهم دين من غير

ان تترك لها وفا لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى
مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدور اسبابا خفية
سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل
فقال التعلق بالله في كل حال فقال السايل زدني فقال ترك كل سبب
يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك فالاول عام للمقامات
الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم
صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك
فلا اذ كان سواله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فتركه
ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل له لذلك فيكون هو المتولي لذلك
وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال
عزيز في نفسه ودوامه ان وجد اعز منه واعز وقال ابو سعيد
الخراز التوكل اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل و
ثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله و
تضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه
الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل

ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه
وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت الدرجات بنظر
بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم
يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شي
من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها
انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل **بيان**
اعمال المتوكلين **اعلم** ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال
وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب و
السقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال
فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام
من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول
انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده
وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده
كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار
لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به

كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون
الاربعة وهي جلب النافع او حفظه او دفع الضار
او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد
الشرع **الفن الاول** في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها
يجتلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم
وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع
به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيته
ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك و
انت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط
التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان
وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من
التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او
يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك
فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت
في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم

فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل
في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق
الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك
واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى لا على اليد
والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف
تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل
قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك
من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين
طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك
فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه
متوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة
لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها
بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا
يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس
شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا

يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما
سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان
يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في
التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض
نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما يقاربه
بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى
والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء
الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي
في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي
به وقته فيحيى به مجاهدا لنفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا
كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان
لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا ينقدح
في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض
وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل
ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش

وأما لحاجة إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو
يومين مرة فإن المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر
عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا
يوجد المقراض والإبرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقام
في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه
الأربعة أيضا ملتحق بالدرجة الأولى لأنه مظنون ظنا ليس مقطوعا به
لأنه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه ثوبا أو يجد على رأس البئر من
يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوغا إلى فيه فبين الدرجتين
فرق ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز إلى شعب
من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه
وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في إهلاك نفسه كما روي أن زاهدا
من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لا أسأل أحدا
شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت فلم يأته رزق
فقال يا رب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك
فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل الأمصار وتقعد

بين الناس فدخل المصر وأقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل
وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله إليه أردت أن تذهب
حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي
من أن أرزقه بيد قدرتي فإذن التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة
وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله
دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة
من قبل لكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمعنى التوكل
في الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون
النفس إلى مسبب الأسباب الخفي لا إلى السبب فإن قلت
فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب
فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البوادي إذا
لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما
بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر
ممكن إلى أن يتفق ذلك ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق
لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشتغل

بعياله فالكسب فالخروج له اولى ولكن ليس فهله حولها الى ان يشرف
على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول
القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا مطلع الى من يدخل من الباب
فياتيه برزق بل مطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهذا افضل وهو
من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق
ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى
ان لا يرزقه لما استجاب له ولو كان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف
اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اختلف
الناس في كل شي الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت
الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم
الجبال وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا يزرع ولا يحصد
ولا يدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا من الطير
فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب

السوسي رحمه الله المتوكلون تجري ارزاقهم على يد العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله
لكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار
وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز
فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة

الدرجة الثالثة

ملابسة الاسباب التي يتوهم اضافتها الى المسببات من غير ثقة
ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب
ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي
الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا
لمال مباح فاما اخذ الشبهة او الاكتساب بطريق فيه شبهة
فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى
ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي يستنبط الجلب النافع
مثل التسبب الرقية والطيرة والكي لا اضافة الى ازالة الضار
فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك فلم يصفهم بانهم
لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم

بأنهم يتعاطون هذه الأسباب فأمثال هذه الأسباب التي لا يوثق بها
في المسببات مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه وقال سهل في التوكل ترك التدبير
وقال إن الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وإنما حجابهم تدبيرهم ولعله
أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر وهي التي تحتاج إلى التدبير
دون الأسباب الجلية فإذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج
التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي لا يخرج ينقسم إلى
مقطوع به وإلى مظنون فإن المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود
حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل
فيها بالحال والعلم لا بالعمل فأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال
والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب
على ثلاث مقامات الأول مقام الخواص ونظرائه وهو
الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته
على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت
أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي
يحمل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضل بعيره ويموت جوعا فذلك

ممكن مع الزاد كما أنه ممكن مع فقده المقام الثاني أن يقعد
في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار وهذا أضعف من
الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة
معول على فضل الله في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية و
لكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن ذلك من
الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى
الذي يسخر سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد إذ يتصور
أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك
دواعيهم المقام الثالث أن يخرج ويكتسب اكتسابا
على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب
آداب الكسب وهذا السعي أيضا لا يخرجه عن مقامات التوكل
إذا لم يكن طمأنينته إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته
فإن ذلك كله ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره
إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه
وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم

في يد المالك الموقع فلا يكون نظره الى العامل بل الى قلب المالك انما امادك
تحركه فالوهاب بميل ومن يحكم بان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله
او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال
هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي
حال المتوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة
كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح باخذ رزمه
متاعه تحت حضنه ودخل السوق كره المسلمون ذلك وقالوا كيف
تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني
ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت
من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم
واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن
الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان
متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر
الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء

بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه
احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم
غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في
الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال
ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل
عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا
لا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام
بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته
وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم
ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل
فان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج لم يصح معه
التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب
وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقرب لكنه بعد اشتهار
القوم بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق
متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد

في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر ٢٠
وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه
ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل
فيحمل إليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود
له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب
أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال القلب وتركه أهم من تركه
الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما استشرف إليه نفوسهم كان
أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقرا شيئا فضلا عما
كان استأجره عليه فرده الفقير ذلك فلما ولى قال له أحمد الحقه
وأعطه فإنه يقبل فلحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال
كان قد استشرف نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ
وكان الخواص إذا نظر إلى عبد في العطا وخاف اعتياد النفس له لم
يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره
رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه
فيكون نقصا في توكلي فإذن المكتسب إذا راعى آداب الكسب

وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن
اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فإن قلت فما علامة
عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته
أو خسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته
ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا
فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقد شيء فقد
سكن إليه وقد كان بشر يعمل المغازل فتركه ذلك وذلك لأن البعلوكي
كاتبه بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت إن أخذ الله
سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل
وقيل تركها لما توهم بأسه وقصد لأجلها وقيل فعل ذلك
لما ماتت عياله كما كان لسفيان خمسين دينارا يتجر فيها فلما ماتت
عياله فرقها فإن قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن
إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن فأقول بأن يعلم أن
الذين يرزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم
ثم سرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على أن الله لا يفعل به

الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له ولعله لو تركها
كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وعافيته ان يموت جوعا
فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الاخرة مهما قضى الله عليه
بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى
عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر
من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه
من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وبن عمه
من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله تعالى ولذلك قال
عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما
خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل
المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره وقد لم
يذكر به من المقامات المذكوره ولكنه قال ما ادركته ولعله
اراد اذ ادرك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله وان لا رازق
سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة
فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبنا التوكل على قوة

بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال
تبنى على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي
قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن
على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت
فهل من دوا ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة
وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفيه فاقول نعم هو ان
تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله قال
الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف
الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن
وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة في
الباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية
الرزق من الاسباب الخفيه ايضا يبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه
عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال الامام لو اكتسبت كان افضل
لك فلم يجبه حتى اعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد

قد ضمن لي في كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك
في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله وبين العباد
مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي
على ضمان الله تعالى للرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل
فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك
وينفع في حسن الظن بمجي الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب
الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجايب صنع الله في وصول الرزق
الى صاحبه وفيها عجايب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنيا
وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابرهيم بن ادهم
فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد
طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابرهيم
وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فجيت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال
والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا ضايع
هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري

من جوعي غير كف لهيب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار
ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة
الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته
اياها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت
هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا
اخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجيت الى ابرهيم فـ
اخبرته بالقصة وقال لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة
دخل النصراني فاكب على راس ابرهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب
الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني
نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيا يسكن ضعفي فرايت
سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قايلا
يقول لي جعت عشرة ايام فاخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت
بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى
جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني
بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة

على الفرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع
عليه بصري من المجاورين فكان اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها
فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا
وقبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى الصبيان هدية
مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام
وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل
قلبي بسببه فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا
هذا المقدار الذي خذ عليك الاخذ وعلينا العطا فما حاسبت
بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال
كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي
يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال
فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق
فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه
فاذا انا بتلك المراة قالت لي انت تاجر تقول عسى يجي صاحبه فآخذ
منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها

الى قريب من مصره ويحكى ان فقيرا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه
فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفر فتشتري ما يوافق فلما ورد
النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم
هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال
اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص وقال ان اكلته
مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره
فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي عنده القرص وقال
ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت
المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت
واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت
لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا
في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا
الرمل فالحقوه فجاءوا جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي
ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا اهاجرت

الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب عمر
فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة
فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القران
فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال
وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السما
وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك ياتيه
ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي
في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا و
الله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان
فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس هذا البير كيلا يقع فيه احد
فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت
في نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي
جا فكشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في
همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع
فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف

آل عمر

فقلت وانا اقول شعر

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غايبي واللطف يدرك باللطف
ترايت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتونسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه
القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه
ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك
حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم
اصلا بيان توكل المعيل اعلم ان من له عيال
فحكمه يفارق حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين
احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر
ابواب من الايمان ذكرناها ومن جملتها ان يطيب نفسا بالموت
ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا

في الدنيا ومهور بالكه في الآخرة ويرى أنه سيق إليه خير الرزقين له وهو
رزق الآخرة فهذا أثمر التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع
ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق
مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر أبواب
الإيمان فإذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث
كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول
البوادي وترك العيال توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام
بأمرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون
هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده
العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع
رزقا وغنيمة في الآخرة فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا
عيال عنده لا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر مع الجوع
مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عليه عبادته
لم يجز له التوكل ولذلك روي أن أبا تراب النخشبي نظر إلى صوفي مد يده
إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف

الزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر
عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام وقال أبو علي الروذباري إذا قال
الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل و
الكسب فالذي بدنه عياله وتوكله فيما يضر بدنه كتوكله في عياله و
إنما يفارقه في شيء وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له
ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن
الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر
الرزق نادرا وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي
لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء و
لكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل
في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك
من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا
ذلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم
على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة
الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف

[illegible]

ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه
وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما
ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته
بالام حتى لا ينتهي اليه فضلات غذا الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك
بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتكفل به
شات ام ابت اضطرارا من الله اليه بما شعل في قلبها من نار الحب
ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج
الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذا الكثيف فادر له اللبن
اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا
بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذا الكثيف
انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له
اسباب التعلم وسلوك سبيل الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل
محض لانه ما نقص اسباب معيشته ببلوغه بل زاد فانه لم يكن قادرا
على الاكتساب والان قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه
شخصا واحدا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة

ويخاف من الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين
العبد وبين الله والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة
عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك فان قوتك اقوى
فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب
هم علماء الاخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان
بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما اخذه مع الكراهة
لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحي
من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي
قيمته في معرض الهدية والمقابلة لتنقضي عن عهدته فان لم يقبل
هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه
بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى
فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه
فربما ظن السائل انه راضي ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول
لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيا اصلا
فكان بشر لا ياخذ اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح

بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه واتنا اعظم النكير
في السؤال فالامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة
وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من
يعطيه من غير كراهية واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم
الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورع ومن ارباب القلوب
من كان من ثقته ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون
من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم
من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله في الكبش
والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا
عن طيبة قلب ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لريا وسمعة
فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا منه راسا
الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلثة من الانبيا في مقام
الضرورة سليمن وموسى والخضر صلوات الله عليهم ولا شك في انهم
ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقا
والاخوان فمن حق الاخوان وكانوا ياخذون مالهم بغير سؤال واستيذان

لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان
وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذ كانوا
يسالون الاخوان عند علمهم في اقدار اخوانهم على ما يريدونه والا
فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤول
بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك
تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحيا واثارة داعيته
بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة
لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة
الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين
احوال يشك فيها فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلب
فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال
سهل على من قويت فطنته وضعفت حرصه وشهوته فان قوي
الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يفطن للقرائن
الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قول النبي عليه السلم
حيث قال ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وقد اوتي رسول الله جوامع
الكلم

لان من لا كسب له ولا مال ورثه من ابيه او احد اقربيه فياكل من
ايدي الناس فان اعطي بغير سوال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه
بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطي بسوال
فاين من يطيب قلبه بالعطا اذا سئل واين من يقتصر في السوال
على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت
ان جميع ما ياكله او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته
انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس
فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه
منه وسعة جوده ◦ بيان مقدار الغنى المحرم للسوال ۞ اعلم
ان قوله عليه السلام من سال عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل
منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنا مشكل وتقديره
عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف
وقد ورد في الحديث استغنوا بغنا الله قالوا وما هو قال غدا
يوم او عشا ليلة ◦ وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما
او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ اخر اربعون درهما

ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها
على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير
ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال
المحتاجين فنقول قال عليه السلام لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم
به صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب
فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس
والاقدار والاوقات فاما الاجناس فهي هذه الثلث ويلتحق بها
ما في معناها حتى يلتحق بها الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك
ما يحتاج اليه من المهمات ويلتحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت
كفالته واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين
وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني
من كل جنس فهو مستغنى عنه ولتقس على هذا اثاث البيت جميعه
ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر
فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد
ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما

الطعام قدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات
ولو كان الشعير فالأدم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية إضرار
في طلبه في بعض الأحوال رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزئ من
حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع
فهو سؤال عن ظهر غنى وأما الثاني ما الإضافة إلى الأوقات فما يحتاج
إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه فما يكنه فلا يشك
فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات أحدها ما يحتاج
إليه في غد والثانية ما يحتاج إليه بعد أربعين يوما أو خمسين والثالثة
ما يحتاج إليه في السنة ولينقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله
إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى وعليه نزل
التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسين دينارا يكفي المنفرد في
السنة إذا اقتصد أما المعيل فربما لا يكفيه فإن كان يحتاج إليه
قبل السنة فإن كان يحتاج إليه فأكثرا على السؤال ولا يفوته فرصته
فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون
قد سأل ما لا يحتاج إليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه نزل

الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر فإن كان يفوته فرصة السؤال
ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير
بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عمن يعينه
فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال
خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته
بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة
التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد
العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل به
إن كان سالكا طريق الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق
في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله
أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك
ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى
فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين وقال الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال
من الفحشاء التي أبيح بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية

عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنه اشترى من حاصل ملكه ما لا
ادخره لحاجة ورا السنه وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهر
ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقه بفضل الله
وهي من امهات المهلكات ثم بيان احوال السائلين كان بشر الحافي
يقول الفقرا ثلثه فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين
في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات
الفردوس وفقير يسال عند فاقته فهذا مع الصادقين من اصحاب
اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السوال وعلى انه مع الفاقه يحط
المرتبه والدرجه وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم
عليه من خراسان كيف تركت الفقرا من اصحابك قال تركتهم
ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك
السوال قد اثنى عليهم غاية الثنا فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب
بلخ عندنا قال له شقيق فكيف الفقرا عندك يا ابا اسحق فقال الفقرا
عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت
يا استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر

والسوال كثيره فلا بد لسالك طريق الاخره في معرفتها ومعرفة
انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من
حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق
الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى
اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا
وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال
قد يغلبهم حاله يقتضي ان يكون السوال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن
بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي
ان بعضهم راى ابا الحسين النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن
قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته
فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سال
ليثيبهم في الاخره فيوجرون من حيث لا يضره وكانه اشار به الى قوله عليه السلام
يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ للمال
لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال الجنيد هات
الميزان فوزن مايه درهم ثم قبض قبضه فالقاها على المايه ثم قال

احلط الله فقلت في نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط
به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالذهب
الى الوزان قال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له
انا لا اقبل منك ات شيا واحد ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته
فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه
طلب الثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت
ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددته
الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ماله الله المستعان فانظر الان
كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان
يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مباسطة باللسان لكن
بمشاهدة القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو
القلب عن حب الدنيا والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن انكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا
قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده
فلم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يوثر في حقه

خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدوا مسهلا وهذا وان
كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من
الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق وظهر له مثل ما ظهر
لهم فهو صاحب الذوق في المعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما
رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق
به فهذا صاحب علم اليقين فان لم يكن واصلا الى عين اليقين فعلم اليقين
ايضا رتبة فان كان دون عين اليقين ومن خلى عن علم اليقين وعين اليقين
فهو خارج عن زمرة المومنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين
المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين
فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين امنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ٥ الشطر الثاني
من الكتاب بحث في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد
وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه
وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث
وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد ٥ بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين و
ينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كساير المقامات لان ابواب
الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكانه
القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس
القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم
ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من
الحال مجرى الثمره فلنذكر الحال مع كلي طرفيه من العلم والعمل
ذات الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف
الرغبه عن الشي الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شي الى غيره
بمعاوضه وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما رغب
عنه لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى
زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبه وحبا فاذن يستدعي
حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب
عنه ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب
عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا كتارك التراب والحجر والتراب

كان يسقيه ويطعمه في اليوم مره ومرتين وكان اطعامه بتسليط
الله الشفقه والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقه والموده و
الرقه والرحمه على قلوب المسلمين واهل البلد كافه حتى ان كل واحد
منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعيه الى
ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف
وزياده وقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهي مشفق
خاص فلما راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله داعيه الرحمه
على واحد من المسلمين او على جماعه حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي
الى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب
وليس له كافل خاص والله كافله بواسطة الشفقه التي خلقها في
قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم
يشتغل في الصبى وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الف نعم
كانت شفقه الام اقوى واخص ولكنها واحده وشفقه احاد
الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم
قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف

شفقته لا لاجل ملكه المستحقين ويترك التنعم والاقتصار
على قدر الضرورة ولقد احسن قول الشاعر حيث قال
جرى قلم القضا بما يكون ٭ فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ٭ ويرزق في غشاوته الجنين
فان قلت الناس يقولون اليتيم لامر يرونه عاجزا اصباه وامثال
هذا الفالج قاعد على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو متلف فليحتط
لنفسه فاقول ان كان هذا القاعد بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب
ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان
به على التفرغ لله تعالى فما للبطالة والتوكل وان كان مشتغلا
بالله ملازما لمسجد او لبيت وهو مواظب على العلم والعبادة
فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله
بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته و
انما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس فما رايت
الى الان عالما او عابدا استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار
مات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله

يقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله محبته
في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر
الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت
فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مدبر
الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به
الحلوا والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على
الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا
يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش
يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر بل يصل ما يزيد على الحاجة
والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على
الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس
ذلك من طريق الاخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو
في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي
النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاذا الاضطراب ضعيف
عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر

الملك مدبرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه فان سكنا لا يتاكد ان يرد وردا
عظيما بتصور مثله في حق المضطرب واذا انكشفت هذه الامور
وكان معه قوة في القلب وشجاعة اثر ذلك ما قاله الحسن البصري
اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب
بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت
اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام معلوم
في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر
اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس
عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فعليك بالقناعة
بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه
وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب
فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه
لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير وألوان الاطعمة فما ضمن الا الرزق
الذي يدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل

بالضامن وقد اطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب
الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه
لا يهتدى اليه وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا
دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع
هو فاطلبوه فقالوا نسأل الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه
فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على
التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى
الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله تعالى
طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله عز وجل
صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول شعر

ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا
ويسألنا القوى عجزا وضعفا كانا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن
وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله

فان اسوا احواله ان يموت ولا بد فان فاته الموت كما ياتي الموت
من ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفا بالمضمون
من جانب فالذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي ذكرها صادق
فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق
العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب
بل للمسبب لا الاسباب كما لا يكون منتظرا القلم الكاتب بل القلب الكاتب
فانه اصل حركة القلب والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر
الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الام
وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع باليوم و
الليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب
خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب
على الدوام بل تاتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية
الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اليه
اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام
بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة

والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه
الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه
لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له
سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن واشتغاله بالسلوك
مع الاخذ ممن يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة
للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق
ليس على قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق
والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل
عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه
علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب
مثال **اعلم** ان مثال الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال
وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج
اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم
رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا

عن احد منهم وامرهما كذا حتى اكتب فيهم ان اسكتوا ولا تتعلقوا
بغلماني اذا احرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه
فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن
تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا انفتح باب الميدان وخرج
اتبعته بغلامي يكون موكلا به الى ان اقدم بعقوبته في مكان معلوم
عندي ولكني اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه
من يد الغلام وهو ساكت فاني احضه بخلعة سنية الى الميعاد المذكور
لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه
ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني فلم يوصلوا اليه شيئا فبات الليله
جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائلا ليتني اوصل الي رغيفا فاني
غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السوال الى اربعة اقسام قسم
غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم
الى غد فرج ونحن الان جائعون وبادروا الى الغلمان فاذوهم واخذوا الرغيفين
فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم
وقسم ترك التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة

الجوع فسلموا عن العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمراى
من الغلمان حتى لا يخطونا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا
ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان
وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف
واحد وان اخطاونا فاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك
التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك
اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى
مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم يقع عليهم
ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع
شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعاما فانا
لسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب
والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت
والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة
للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيامة
لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتكسب

في الاسباب والعاملون المتسببون في الاسباب والجالسون في ظاهر البلدان
بمرأى الخلق هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة
السكون والمقيمون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل
والاسباب بينهم في الرزق بايديهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم
جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه
الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة متعلق بالاسباب تسعون فاقام تسعة
من العشرة الباقية في الامصار متعرضا للاسباب بمجرد حضورهم في
اشتهارهم وسائح في البوادي ثلثة ويتخبط منهم اثنان ويفوز بالقرب واحد
ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الان فالتارك للاسباب
لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف **الفن الثاني** في التعرض
للاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال
او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلثة احوال الاولى ان ياخذ
قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا و
يشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه
ولا يدخره الا القدر الذي يتادى به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره

على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة
العليا **الحالة الثانية** المقابلة لهذا المخرجة له عن حدود
التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل
لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفارة والنملة وابن آدم **الثالثة**
ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود
الموعود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه
يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج
بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل
بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا الاختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل
الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما
التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه
يتوزع على تلك الرتبة ولتلك الرتبة بداية ونهاية ويسمى اصحاب
النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين
ايضا على درجات وكذا السابقون فاعلى درجات اصحاب اليمين تلاصق
اسفل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق

ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وأما عدم امل البقا
بعد استراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون
في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليله فما دونه من
الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر
لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنه وتقييده
باربعين لاجل ميعاد موسى صلى الله عليه وسلم بعيد فان تلك الواقعة
ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل
الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى
من تدريج الامور كما قال خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطينة لتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر
فان ما ورا السنه لا يدخلها الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر
الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل عن وثوق باحاطة التدبير
من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات
والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنه فله
درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم يكن درجته

درجه من امل شهرا ولا درجه من امل ثلثه اشهر بل هو بينهما في الرتبه
ولا يمنع الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف
قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي
امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامه ان يغسلاه وكفنه ببردته فلما
دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة
البدر ولولا خصله كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحيه
قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر
لله تعالى غير انه كان اذا جاه الشتا ادخر حلة الصيف لصيفه واذا
جاه الصيف ادخر حله الشتا لشتائه ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفره وما يحتاج اليه على
الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجه واما ثوب الشتا
فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك
الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا
الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه
عن العباده والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعه

يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يفرغ قلبه الا به فذلك
له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله ورب
شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل
عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها و
لذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم
التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك
تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال
بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في
انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله وعمدة الاشتغال بالله القلب
فثواب الضعيف اذا ادخر قدر حاجته كثواب القوي اذا ترك
الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد
التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم
وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند
تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلب وذلك
ساقط عن التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن

النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة
وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن
وغيرها ان تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها
ليفطر عليها فقال انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا
سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا فالاقتدا بسيد المتوكلين صلوات الله عليه
وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال يتيمم مع قرب الما ويقول لعلي لا
ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان
لا يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقويا من امته فان اقويا
امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلبه
وقلب عياله ولكن ليسن ذلك للضعفا من امته ثم اخبر ان الله يحب ان تؤتى رخصه
كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفا حتى لا ينتهي بهم الضعف
الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات
فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم
ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد
لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة

توفي فما وجدوا له كفنا فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال الله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الاخرة ○ واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عند بشر ضحوة من النهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل منه وما رايته اكل مع غيره

قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير واخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار ○ الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يتقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة يلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناه

من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم عند الخروج الى السفر في الشتا
تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب
والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة واما ترك الاسباب
الدافعة فان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه
الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر
قال تعالى فاتخذه وكيلا فاصبر على ما يقولون وقال ولنصبرن على
ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال ودع اذاهم وتوكل
على الله وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون هذا في اذى الناس
اما الصبر على اذى السباع والعقارب والحيات وترك دفعها
ليس من التوكل في شي اذ لا فايدة فيه ولا يراد السعي لا يترك السعي
لعينه بل لاعانته على الدين وترتيب الاسباب هاهنا كترتيبها
في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب
الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج
ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا

واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اهمل البعير
وقال توكلت على الله قال عليه السلام اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا
حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى صلى الله عليه وسلم
فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفا عن اعين العدو ونوع تسبب
واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن اعين الاعدا ودفعا
للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب
فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون
كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت
فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفيه فلم يتحرك فاقول
وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه
وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتدا بطريق التعلم من الغير
بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه
اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليه فان قلت وهل من علامة اعلم بها
اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن

من العلامات السابقة على ذلك ان الهمام يسخر لك كلب هو معك
في اهابك يسمى الغضب ولا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك
هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا
لك وربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع و
كلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب الوادي وكلب اهابك
اولى بان يسخر لك من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع
في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه
حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من
الشرود فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم و
الحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في
اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم
من بعير يعقل ويموت او يفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل ولا يتكل
على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل
في الوكيل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه
وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا

بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في
البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني
هبة فلا تسترجعها او وديعة فتستردها ولا ادري انها رزقي او سبقت
مشيتك في الازل بانه رزق غيري وكيفما قضيت فانا راض به فما
اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك
في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا
حاله ووجد الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل
البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت
فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله فان لم يجده بل وجده
مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه
ما اخذه الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد صح مقامه
في التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر
فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد
الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح
بما ياتي بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح

مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب
والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى ياكل نعليه واظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في دينه
من حيث انه اظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع
الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يحتاط حتى لا يصدق نفسه في دعاويه
ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير فان قلت
فكيف يكون للمتوكل مال حتى يوخذ فاقول المتوكل لا يخلو
بيته عن متاع كقصعة ياكل فيها وكوز يشرب فيه واناء يتوضا منه و
جراب يحفظ فيه زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات
المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في بيته مال وهو يمسكه ليجد
محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله
وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب
الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زائد على قدر
الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقرا المتوكلين
في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة

في كل يوم او في كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل
ولذلك كان الخواص ياخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة
دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف
يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتاسف عليه
فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه
لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين
ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة
في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما
اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان
ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به
اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقده حتى يتعب في تحصيل
عوضه ويكون ثوابه في التعب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى
منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله
حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة لي كانت في وجوده
الى الان فالخيرة الان لي في عدمه لما اخذه مني فبمثل هذا الظن يتصور

أن يدفع عنه الحر ولم يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث
أنها أسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الأسباب عناية به و
تلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله
فإن قدم إليه الغذا فرح وقال لولا أنه عرف أن الغذا ينفعني و
قد قويت على احتماله لما قربه إلي وإن أخر عنه الغذا فكذلك أيضا
فرح وقال لولا أن الغذا يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه
وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق
الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى
وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب
فإنه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي
أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي فلذلك ينبغي أن لا
يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو بسلامته فإنه لا يدري أيهما خير له في
الدنيا ولا في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك
الإنسان وكم من غني يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ليتني كنت فقيرا
بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم للمتوكل آداب في متاع

بيته إذا خرج الأول أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ
كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان
مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطه ويقول لولا الكلاب
ما سددته أيضا والثاني أن لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون
هو سبب معصيتهم إذ إمساكه يكون هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى
المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال له خذها فلا حاجة لي إليها قال لم
قال يوسوس إلي العدو أن اللص قد أخذها فكأنه احترز من أن يعصي السارق
بالسرقة ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان
هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه
من أخذها الثالث أنه إن اضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي
عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول
ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله وإن كان
فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له
نيتان لو أخذه غني أحدهما أن يكون ماله مانعا له من المعصية فإنه ربما
يستغني به فيتوانى على السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحلال

لما ان جعله في حل والثاني ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء مال
مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع
المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل
قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان تمنعه
من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه
النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير
القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له
بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه ونهاه فان لم يؤخذ حصل له
الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في من ترك
العزل واقر النطفة قرارها كان له اجر غلام ولد له من ذلك
الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه
في امر الولد الا الوقاع واما الخلق والحياة والرزق والبقاء
فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك
امر السرقة والادب الرابع انه اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان
لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه

لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في
طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله
فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان اعيد عليه
فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله
فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك
النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر
رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل
الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن
ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله
وجلس فقيل الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله
وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت
ما فعل الله بك قال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي
فيها فرايتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت
الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني
لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال اني لما رايت

منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت
ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه
اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت
وما امضى السبيل قيل لي قد كنت تقول للشي انه في سبيل الله ثم
ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكي عن بعض العباد
بمكة انه كان نايما الى جنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد
هميانه فاتهمه به فقال كم كان فيه فذكره فحمله الى البيت ووزنه
من عنده ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فجا
هو واصحابه وردوا الذهب فابى عليه وقال خذوه حلالا لا
فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبل فالحوا
عليه فدعا ابنه فجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقرا حتى لم
يبق منه شي فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخرج خبزا مثلا
ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطي
فقيرا اخر وكذلك يفعل في الدراهم وساير الصدقات ه **الخامس**
وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ
فان فعل ذلك بطل توكله ودل على كراهيته وتاسفه على ما فات فـ
ان بالغ في الدعا بطل اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا على
ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين الفا و
كان قايما يصلي فلم يقطع صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاه قوم يعزونه
فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره قال
كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوه قال فجعلوا يدعون عليه
فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني جعلته صدقة عليه **وقيل لبعضهم**
في شي قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان
عليه قيل افرايت لو رد عليك قال لا اخذه ولا انظر اليه لاني كنت
قد احللته له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم
قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده
شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق
في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف
منه لمن اخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم
ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبه

بما زاد عليه ويقتص له من الظالم السادس ان يغتم لاجل
السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله ويشكر الله تعالى اذ جعله
مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا في دينه
فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال
ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك
بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف
بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله
ولكن على المسكين انه يسال يوم القيامة ولا يكون له حجة وقيل
لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعا
الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله
اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به
كالما المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد
والحجامه وشرب المسهل وساير ابواب الطب اعني معالجة البرودة
بالحراره ومعالجه الحراره بالبروده وهي الاسباب الظاهره في
الطب والى موهوم كالكي والرقيه اما المقطوع به فليس من

التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم
فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقيه والطيره اخر درجاتها ف
الاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب
واما الدرجة المتوسطه وهي المظنونه كالمداواة بالاسباب
الظاهره عند الاطبا ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم
وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله
في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجه بين الدرجتين
ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله وقوله
وامره به اما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من دا الا وله
دوا عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت
وقال تداووا عباد الله وسيل عن الدوا والرقا هل ترد من قدر
الله تعالى فقال هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت
بملا من الملايكه الا قالوا مر امتك بالحجامه وفي الحديث انه امر به
احتجموا السبع عشره وتسع عشره واحدى وعشرين لا تتبيغ بكم الدم

فيقتلكم فذكر ان يتبع الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله
وبين ان اخراج الدم حلال منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من
الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت
وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائه
وكرفع ضررها عنه ووقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج
عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلثا
لسبع عشر من الشهر كان له دوا من دا سنة واما امره فقد امر صلى الله
عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ
عرقا اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنهم وكان
رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك
يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب وقد راه
ياكل التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال اني اكل
بالجانب الآخر فتبسم واما فعله فقد روي في حديث
من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب
الدوا كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها

وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه
بالحنا وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حنا وقد جعل
على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر
وقد صنف في ذلك كتب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض
العلما في الاسرائيليات ان موسى صلوات الله عليه اعتل بعلة فدخل
عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرات فقال
لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دوا فطالت عليه فقالوا ان دوا
هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فاقامت علته
فاوحى الله وعزتي لا ابراتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم
داووني بما ذكرتم فداووه فبرا فاوجس في نفسه من ذلك
فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع
العقاقير منافع الاشيا غيري وروي في خبر اخر ان نبيا من الانبيا
شكى علة تجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكى نبي اخر الضعف
فاوحى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع
وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه

مريم ان يطعموا نساءهم الحبالى الشهرجل فانه يحسن الولد ويعجل
ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه تصور الله تعالى الولد وقد
كانوا يطعمون الحبلى الشهرجل والنفسا الرطب فهذا يبين ان مسبب
الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة
والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان
الخبز دوا الجوع والما دوا العطش فالسكنجبين دوا الصفرا والسقمونيا
دوا الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش
بالما والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفرا
بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه
بالاول والثاني ان الدوا يسهل والسكنجبين يسكن الصفرا بشروط
اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع
شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدوا عن الاسهال
واما زوال العطش فلا يستدعي سوى الما شروطا كثيرة وقد يتفق
من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الما ولكنه
نادر واختلاف الاسباب ابدا ينحصر في هذين الفنين والا فالمسبب

يتلوا السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب وكذلك ترتيب مسبب
الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر
المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب و
الدوا فقد روي عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب ممن الدوا
والشفا فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطبا قال ياكلون ارزاقهم و
يطيبون نفوس عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذا معنى التوكل
مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة
للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه
فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك
اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي
المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت
البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما
ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهي من الاسباب الموهومة
كالرقية الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال
مع الاستغنا عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دوا يغني عنه

يتيسر فيه احتراق في الاحتراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية
مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد
مسدهما غيرهما ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل
واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا
عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى
فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت
انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن
ثم تاب من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان
يجد من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي
كان اكرمني الله بها قد ردها علي بعد ان كان اخبره بفقدها فاذن
الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه
الى تدبير ثم هو موهوم فدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب
وعلى التعمق فيها بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض
الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون

ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان
لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله اذ لا يكون حال غيره في التوكل
اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل لو دعونا لك طبيبا
فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء
في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا
الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت
عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول فقيل لو سألت الله ان يعافيك
فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج
فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا
بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى له
ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل
وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان
به علل ولا يخبر بها المتطبب ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد
التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت
اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذن من ترك التداوي

وراه فيهم كثيرة ولا يخفى وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسباب
الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان
الدوا لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برويا صادقة وتارة
بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه
التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعايشه
في امر الميراث انما هما اختاك وما كان لها الا اخت واحدة ولكن
كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها
حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتها اجله والا فلا يظن به
انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به
السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته و
اطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي
شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام
ابي الدردا اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر
من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف

الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جايع فيقول
انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع
ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رضي الله عنه حيث قيل
له ما القوت فقال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام
هو العلم قيل سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن طعمة
الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخل عليه
علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها
حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة والدوا
الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي و
الرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال
ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطبا فهلك المداوي والمداوى على ان
الزواعر من توقع وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض
كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على
ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في
الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد

بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم
لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية
عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب
قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي
والرقى فيتركه وكلاهما. السبب الرابع ان يقصد العبد بترك
التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى
وليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما
يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس
بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب
الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه
البلاء وفي الخبر ان الله تعالى ليجرب عبده بالبلاء كما يجرب
احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق
اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان
رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر
الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح

شي قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا
فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا
ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة فيخفيها ولا يذكرها للطبيب
ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من
ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلوتهم
قاعدا مثلا مع الصبر على قضاء الله افضل من الصلوة قائما مع العافية
والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح
ما كان يعمل فانه في وثاقي وان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقد قال صلى الله عليه وسلم
افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها
من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف
عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات
وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي
الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال

من الامراض فيبدا اولا للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعة فتعجب
من ذلك ويقول صلوته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي
للقوة والصلوة قايما وسيل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي
من الدوا فانما هو سعه من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل
في شي منه فهو افضل لانه ان اخذ شيا من الدوا ولو كان من الما البارد
سيل عنه لم اخذه ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان مذهبه
ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم
بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب
الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمه
وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد
قد سلف له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض
اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى
يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئه وفي الخبر حمى يوم كفارة سنه

فقيل لانها تهد قوة سنه وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل
الحمى في جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم
ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه
ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسال
ذلك طايفه من الانصار فكانت الحمى لا تفارقهم ولما قال صلى الله عليه وسلم
من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنه قال فلقد
كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لا يكون
عالما من لم يفرح بدخول المصايب والامراض على جسده وماله
لما يرجوا في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد
عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما به ارحمه
اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته **السبب السادس**
ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول
مدة الصحه فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده
الغفله والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك
الفايت وتاخير الخيرات فان الصحه عبارة عن قوة الصفات

ونها ينبعث الهوى ويحرك الشهوات ويدعوا الى المعاصي اوقلها
ان يدعوا الى التشعث في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال
للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله
بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذلك قيل
لا يخلوا المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول
الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي فاذا كان في
المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه فلم ينبغي
ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك
المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية
قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته
فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصي وقال علي رضي الله عنه
لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي
اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم
لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد
ما اريكم ما تحبون قيل العوافي ان الانسان ليطغى ان راه استغنى

فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم
الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة فلم يصدع له راس فلم
يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة
كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا من دعوى الربوبية وقد قال
صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل الحمى
بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم
يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل
يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم
لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول
فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا
فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلوا المؤمن في كل اربعين يوما
ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة
فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه
امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت
قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه
فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار
فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المومن من نار
جهنم وفي حديث انس وعايشه قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهدا
يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مره
وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت
على المريض اغلب فلما كثرت فوايد المرض راى جماعة ترك
الحيله في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي
نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال

لو قال قايل انما فعله صلى الله عليه وسلم ليستن لغيره والا
فهو حال الضعفا ودرجة الاقويا توجب التوكل بترك الدوا
فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد
عند تبيغ الدم وان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان يلدغه
العقرب والحيه فلا ينحيهما عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب

يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال ذلك ايضا شرط التوكل
فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالما ولدغ الجوع بالخبز ولدغ
البرد بالجبه وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع
ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل
على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه
وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا
الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووبا عظيما فافترق
الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوبا فنلقي بايدينا الى
التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب
من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال تعالى الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه
فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوبا فقال له المخالفون في رايه
انفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ثم ضرب
لهم مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبه
والاخرى مجدبه اليس ان رعاها في المخصبه رعاها بقدر الله تعالى

فقالوا نعم فطلبوا عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه فكان غائبا
فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين
شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم بالوباء
في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا
منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع بالناس من
الجابية فإذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى
المقامات أركان أمثال هذا من شروط التوكل فإن **قلت**
فلم نهى عن الخروج من البلد وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر
طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه
فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهي عنه إذ الحجامة
فرار من الضرر وترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا لا يدل
على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله أن الهواء
لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق
له فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن
الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر

إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا
من الأثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا
من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى
لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه
لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي
في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا
المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم
يعجزون عن مباشرة ذلك بأنفسهم فيكون ذلك سعيا في إهلاكهم
تحقيقا وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر فلو أقاموا
لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا
بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد
بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعى إلى سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي
وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء في
باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم نعم لو لم يبق في البلد إلا مطعونون

وانفروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح ان
الدخول ها هنا لاجل الاعانة او لا نهى عن الدخول لانه تعرض
لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وانما شبه الفرار
من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب
بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا
يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده اكثر ما
يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم
وفضيلته لاجل ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما
ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال
الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها
او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى
ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين
لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته
عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار
في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي

وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع والى هذه المعاني
رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة
الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان
تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه
لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا
مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص وان
الرغبة عن المال كراهة له وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة
الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب
اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم
استواء المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد
فانه منتهى فهمهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة
من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها
فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه
المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله وليقتدي به امته

فيما يمس إليه حاجتهم معاناة لا ضرر فيه بخلاف ادخار الأموال
فإن ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر إلا من حيث رؤيته الدواء نافعا
دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه ومن حيث أنه قد يقصد به الصحة
ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الأمر
لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من
حيث أن جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز
مشبعا فحكم التداوي ومقصوده حكم الكسب فإنه إن اكتسب
للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب
للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك
التداوي قد يكون أفضل في بعض الأحوال وأن التداوي قد يكون
أفضل في بعض وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص
والنيات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا
ترك الموهومات كالكي والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق
بالمتوكلين **بيان** حكم التوكل في إظهار المرض وكتمانه
اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر

وهو من أعالي المقامات لأن الرضا بحكم الله أو الصبر على بلائه
معاملة بين العبد وبين الله فكتمانه أسلم عن الآفات ومع هذا
فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الإظهار
ثلث الأول أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره
لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى
فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل
يخبر بأمراض يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في **الثاني**
أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة
فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر
بأن يظهر أنه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث
بالنعم وقال الحسن البصري إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر
أوجاعه لم يكن ذلك شكوى **الثالث** أن يظهر بذلك عجزه و
افتقاره إلى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد
منه العجز كما روي أنه قيل لعلي في مرضه كيف أنت فقال بشر
فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال

التجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم فيه من القوة
والصرامه وما كتب فيه تأديب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث
مرض علي فسمعه رسول الله وهو يقول اللهم صبرني على فقال
لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص
في ذكر المرض وانما شرط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله
حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال عن الفقراء الا لضرورة ويصير
الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلت
عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم
ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما
يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك
التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدوا
احسن من الاستراحة الى الافشا وقد قال بعضهم من بث فلم يصبر
وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل
ليعقوب صلى الله عليه وسلم ما الذي اذهب بصرك قال
مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي

الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما
قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار
معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في
مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى
الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى بخير دعوا له
وان شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة
خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض
اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل بن عياض
ووهيب بن الورد وبشر بن الحرث وكان يقول فضيل اشتهي ان امرض
بلا عواد وقال ايضا لا اكره العلة الا لاجل العواد

كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات

من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه
عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرته وصفى اسرارهم عن ملاحظة

غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه
وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه
حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في
بيدا كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال
غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت
بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن
نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول
غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبيا
بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وايمته وقادة الحق
وازمته وسلم كثيرا **اما بعد** فان المحبة
لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من
الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة
مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد
وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان

بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض
العلما امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى
واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثال ولما انكروا المحبة
انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وسائر لوازم الحب و
توابعه ولا بد من كشف الغطا عن هذا الامر ونحن نذكر في
هذا الكتاب **بيان** شواهد الشرع في المحبة ثم **بيان**
حقيقتها واسبابها ثم **بيان** ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى
ثم **بيان** ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله ثم **بيان**
سبب زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم
بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم **بيان**
السبب في تفاوت الناس في الحب ثم **بيان** السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله ثم **بيان** معنى الشوق ثم **بيان**
محبة الله للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله ثم
بيان معنى الانس بالله ثم **بيان** معنى الانبساط في
الانس ثم القول في معنى الرضا ثم **بيان** فضيلته ثم

بيان حقيقة الرضا ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي
لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات
للمحبين متفرقة ۝ بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى
اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله فرض وكيف
يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب
وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب
ويدل على إثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى
والذين آمنوا أشد حبا لله وهو دليل على إثبات الحب وإثبات
التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب
من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي يا رسول الله
ما الإيمان قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما
وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه
من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف
وقد قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم إلى

قوله أحب إليكم من الله ورسوله الآية وإنما أجرى ذلك في معرض
التهديد والإنكار وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله ويروى أن رجلا قال
يا رسول الله إني أحبك فقال استعد للفقر فقال إني أحب الله فقال
استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم
إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه
لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه
حب الله ورسوله إلى ما ترون وفي الخبر المشهور أن إبراهيم
صلى الله عليه وسلم قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه
هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله إليه هل رأيت محبا
يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده
إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء
انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد
قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب

من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء
البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة
فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني
احب الله ورسوله فقال له رسول الله المرء مع من احب قال انس
فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله
ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف
ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمومن لا يلهو حتى يغفل
فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما
يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون عنه بالدنيا
ويروى ان عيسى صلوات الله عليه مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم
وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف
من النار فقال حق على الله ان يومن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة
اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى
قالوا الشوق الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم

الى ثلثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا
من النور فقال ما الذي بلغ منكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال
انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل
نائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد
البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانبيائها
عليهم السلام فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين
لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله سبحانه فيكاد
قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المومن اذا عرف ربه عز وجل
احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه
لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة
وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال يحيى بن معاذ
عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال
فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي
ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك
محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة

من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ
الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك و
سربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني
في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من
حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما
طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت
هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك
همهمة لاني احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير
حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والاثار
ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه
فلنشتغل به **بيان** حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق
معنى محبة العبد لله تعالى **اعلم** ان المطلوب من هذا الفصل
لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها
واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى
فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك

اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد
بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق
طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا
يؤثر فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن
استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ
محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه و
معنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع
الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة
عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب
فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته
الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة
انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة
ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات
وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع

السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور
المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة
ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في المطعوم ولذة اللمس
في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة محبوبة
اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلاة فسمى الطيب
محبوبا ومعلوم ان لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى
النسا محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق
والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه
ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه
الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمسة يشارك فيها البهائم الانسان
فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله
لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطل خاصية
الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل
او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات

فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا
من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة
للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية
التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل
الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة
كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور
في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا. **الاصل الثالث**
ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل
نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما
قد يشكل على الضعفا حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان
غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته
والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها
وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي ذاته ومعنى
حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه
وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شي اتم ملاءمة

من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له
من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت
والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات
الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب وعقاب
لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة
الم في الحيوة ومهما كان مبتلا ببلا فمحبوبه زوال البلا فان احب
العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلا فالهلاك والعدم
ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب
فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص
النقص عدم بالاضافة الي القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة
اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه
ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام
اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى
ولن تجد لسنته تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة
اعضايه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاوه فالاعضا محبوبة

وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها
والمال محبوب لانه ايضا الة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر
الاسباب فالانسان يحب هذه الاشيا لا لاعيانها بل لارتباط حظه
في دوام الوجود وكماله بها حتي انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه
حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون
في بقا نسله نوع بقا له فلفرط حبه لبقا نفسه يحب بقا من هو قايم
مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقا نفسه ابدا نعم
لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا علي اعتداله
اثر بقا نفسه علي بقا ولده لان بقا ولده يشبه بقاه من وجه وليس
هو بقاه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الي
حبه لكمال نفسه فانه يري نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم
متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة
كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب
بالطبع لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال
ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو

اول الاسباب * السبب الثاني الاحسان فان الانسان
عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض
من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر
علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع
دفعه وهو جبله وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب
الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقه وهذا اذا
حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونه
وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول
الحظوظ التي بها يتهيا الوجود الا ان الفرق ان اعضا الانسان محبوب
لان بها كمال وجوده وهو عين الكمال المطلوب فاما المحسن
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب
الذي يكون سببا في دوام صحه الاعضا ففرق بين حب الصحه
وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحه اذ الصحه مطلوبه
لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحه وكذلك
العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته

والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام
والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير
محبوبة لانها وسيله الى الطعام فاذن يرجع الفرق الى تفاوت
الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب
المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل
من افعاله لو زال زال الحب مع بقا ذاته ولو نقص نقص الحب
ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزياده والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه السبب الثالث ان يحب الشي لذاته لا لحظ
ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب
الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان
كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال
لان ادراك الجمال فيه عين اللذه واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضا الشهوة فان
قضا الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال
ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والما

الجاري

لا لشرب الماء أو ليأكل الخضرة أو لينال منها حظا سوى نفس الرؤية
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والطيور المليحة
الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى إن الإنسان لينفرج
عن الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملذة
وكل لذيذ محبوب وكل حسن جمال ولا يخلو إدراكه عن لذة
ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة
محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال

الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال

اعلم أن المحبوس في مضيق
الخيالات والمحسوسات ربما ظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا
تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة
وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان
فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاتهم إلى صور
الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا متشكلا ولا متلونا
مقدرا فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه
لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات
البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فإنا نقول
هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا
ثوب حسن وهذا إناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر
الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصور ومعلوم أن العين تستلذ النظر
إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة
وما من شيء من المدركات إلا وهي منقسمة إلى حسن وقبيح فما معنى
الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء لا بد من البحث عنه وهذا
بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه فنصرح
بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله الممكن
له اللائق به فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية
الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر
فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل و
لون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق

فالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن
انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء
في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط
بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك
سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس
البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها
فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر
حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس
فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا
خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق
جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة
والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير
وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمسة بل يدرك بنور البصيرة
الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب
بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة

على حب الانبيا وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا
بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك
وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق
فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه
ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق
في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه
ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه
الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة
فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه
لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة
بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ونشره هذه الخيرات
في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة
واما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه
ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله و
يتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم

والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق
رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده وأطرافه وشكله
إذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به
صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب
باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات
ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذ علم حقائق الأمور وقدر على حمل
نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين
الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ
فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل
ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لأجله فإذن الجمال موجود
في السير ولو صدرت السير الجميلة من غير علم وبصيرة
لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السير الجميلة وهي
الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها إلى كمال العلم
والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي
المخلى وطبعه إذا أردنا أن نحببه إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا

لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم
وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر
أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض
إبليس لعنه الله إلا بالإطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك
بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا بالشجاعة
أحبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة
ولا عن حظ يناله المحب منهم بل إذا حكي من سيرة بعض الملوك
في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه
على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار
وتنائي الديار فإذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل
المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب
لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة و
الحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر
والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة
لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ومن كانت البصيرة

الباطنه اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنه
اكثر من حبه للمعاني الظاهره فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على
الحايط لجمال صورته الظاهره وبين من يحب نبياً من الانبيا لجمال صورته
الباطنه **السبب الخامس** المناسبة الخفيه بين المحب والمحبوب
اذ رب شخصين تتاكد المحبه بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب
الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ايتلف وقد حققنا
ذلك في كتاب اداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه
لانه ايضا من عجايب اسباب الحب فاذن ترجع اقسام الحب الى خمسه
اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاه وحبه
من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقايه ودفع المهلكات
عنه وحبه من كان محسناً في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه
وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سوا كانت من الصور الظاهره
او الباطنه وحبه لمن بينه وبينه مناسبه خفيه في الباطن
فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محاله
كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم
حسن التدبير محسن الى الخلق والى الوالد كان محبوبا لا محاله غاية الحب
ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها
فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محاله في اعلى
الدرجات فلنبين الان ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها
الا في حق الله فلا يستحق المحبه بالحقيقه الا الله **بيان ان المستحق**
للمحبه هو الله تعالى وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله
فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول محمود لانه عين
حب الله وكذلك حب العلما والاتقيا لان محبوب المحبوب محبوب
ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع
الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقه عند ذوي البصاير
الا الله تعالى ولا مستحق للمحبه سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب
الخمسه التي ذكرناها ونبين انها مجتمعه في حق الله تعالى بجملتها ولا توجد
في غيره الا احادها وانها حقيقه في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره
وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقه له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي
بصيره ضد ما تخيله ضعفا العقول من استحاله حب الله تعالى تحقيقاً

وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تعالى فاما السبب
الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه
لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهو جبلة كل حي لا يتصور
ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه
وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام
وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له
وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب
الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من
حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى
عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقا
وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة
فليس في الوجود شي له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قايم بذاته
وكل ما سواه قايم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد
من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا
موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه

فهو جاهل بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها
وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه
احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه
ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان
يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود
بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة
الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود
النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة
الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفايض منها وموجود بها
وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة
الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة
بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها و
صورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم
فلا تطلب فيها الحقايق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه
لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه

وجواهره وأعراضه إنما ضرورية إن عرف ذلك كذلك ومن خلي
عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه
فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم
الشهادة التي يشاركه البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت
الذي لا يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في
الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم
وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله
ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع
شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه
وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي
أن لا يحب إلا الله فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى
فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدها إذ ليس يحيط
به حصر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا
إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان
أن الإحسان من الناس غير متصور إلا بالمجاز وإنما المحسن هو الله

ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف
كيف تشاء فتظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به
وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك
فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن
الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه
ودنياه في الإحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله
ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه
في أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته
فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة
له المرهقة إلى الفعل فأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك
وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه
فإن اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث
هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر فإنه لا يتصور الإحسان من
الإنسان إلا إلى نفسه أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين لأنه
لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل

وهو المنة والاستسخار او الثنا والصيت والاشتهار بالسخا
والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبه كما ان الانسان لا يلقي
ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يبذله في يد انسان الا لغرض له فيه
وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل
يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثنا او الشكر
او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى
غرض نفسه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا
هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله
لاجلك اصلا والبته فاذن هو غير مستحق للشكر والحب من
وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له
على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليمه
خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة
والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير
ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل
حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه

دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا
هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض
هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد و
الثنا او عوضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ
كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان
في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل
وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم
ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاعراض فلفظ الجود
والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال
وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود و
الاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي
ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق
لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط
الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته و **اما السبب الثالث**
وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا

موجود في الطباع فاذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق متلطف
بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك
خبر ملك اخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد
عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول
وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول
وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا
حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك
وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من
حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة المتفضل على
جميع الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب
التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي
هي مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم
بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم
وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد
ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس

الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات
لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة من بدن
الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال
المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ
الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه
الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من
اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن هو المحسن وكيف
يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه
خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان
فالحب بهذه العلة لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب
بهذه العلة الا الله تعالى **واما السبب الرابع** وهو حب
كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد
بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة
الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة المدركة
بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني

يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهرا
من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان
مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الأنبياء
والعلماء وذوي المكارم السنية والأخلاق المرضية فإن ذلك
متصور مع تشويه صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة
الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره الصادرة منه الدالة
عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله عنه أو الشافعي رحمه الله
فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم
بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال
آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف
وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف من هذه
الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث
إلى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا و
عظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور فكلما كان أعظم

رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل
المعلومات هو الله فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله وكذلك
ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فإذن جمال صفات
الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع إلى ثلاثة أمور أحدها
علمهم بالله وملائكته ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على إصلاح
أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة والثالث تنزههم
من الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة
إلى طريق الشر وبمثل هذا يحب الأنبياء والخلفاء والعلماء والملوك
الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الثلاثة إلى
صفات الله تعالى أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله
الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه
وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير
ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه

الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال الله خلق الانسان علمه
البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة
وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى
فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه
واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الا الاجهل ويترك
الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما بتفاصيل معيشته والتفاوت
بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم اعلم
الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله سبحانه على علوم الخلائق كلها خارج عن النهاية
اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما
صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء
وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى
ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما و
غيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف

في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن
المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع
كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص
قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم
لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره
ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض
اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا و
لا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى
ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد
ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا
عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها
والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها
وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه
وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته
وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك

وأقوى شخص من الحيوانات لا ملكته فليس للعبد قدرة إلا بتمكين
مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال إنا مكنا له في
الأرض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله في جزء من الأرض
والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي
يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة أيضا من
فضل الله وتمكينه فيستحيل أن يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته
وتمكنه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر
والسموات مطويات بيمينه والأرض وما عليها في قبضته وناصية
جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص
من سلطانه وملكه ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقه
ولا يمسه لغوب وفتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر
من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر
والاستيلاء فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق
الحب بكمال القدرة سواه أصلا وأما [illegible] صفة التنزه عن العيوب

والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات
الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون
وإن كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس
والتنزيه إلا للواحد الحق الملك القدوس ذو الجلال والإكرام وأما
كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا
مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال
إلا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور أن يعطي وقائما بغيره وذلك
محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس
عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزيه في حقه عن النقائص
يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا
الوصف أيضا إن كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته إلا له
وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد نقصانا
كما أن للفرس كمالا بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالا بالإضافة
إلى الفرس وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان
فإذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد

إن منتهى الكمال [illegible] غيره فإن منتهى الكمال
أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا
صح

الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له
القادر الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب
لقضايه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا
ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول
لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقايه الضروري الوجود الذي لا يحوم
امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل
موجود به جبار السموات والارض جاعل الجمادات والحيوان في
السابق المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت
ذو الفضل والجلال والبها والجمال والقدرة والكمال الذي تحير
في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي
كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة
الانبيا الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبيا انت
كما اثنيت على نفسك لا احصي ثنا عليك وقال سيد الصديقين
سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا
انكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال
والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال
والبها والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب
عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له
منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات
العمى يتيهون في مسارح المحسوسات وشهوات البهايم يترددون يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فالحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون فالحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان
يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود ان اود الاوداء الي من عبدني
لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني
لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى
على طايفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة
فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرى
كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اوليا الله حقا
امرت ان اكون معكم

معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحي ان اعبده للعقاب و
الثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط
لم يعمل وفي الخبر لا يكون احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل
ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل **واما السبب الخامس**
للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشي منجذب اليه و
الشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير
يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن خلاف نوعه وانس العالم
بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح
وهذا امر يشهد به التجربه ويشهد له الاخبار والاثار كما استقصيناه
في باب الاخوة في الله من كتاب اداب الصحبة فليطلب منه و
اذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر
كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبى وقد تكون خفيا حتى لا يطلع
عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة
جمال او طمع في مال او غيره كما اشار عليه السلم اذ قال الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف

هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي
حب الله تعالى لمناسبة باطنه لا ترجع الى المشابهة في الصور
والاشكال بل الى معاني باطنه يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها
لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطا الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق
اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى
في الصفات التي امر فيها بالاقتدا والتخلق باخلاق الربوبيه حتى قيل
تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي
صفات الالهيه من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة
الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق
ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعه وكل ذلك يقرب
الى الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما
ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبه الخاصة التي اختص بها
الادمي فهو التي يومي اليها قوله تعالى ويسلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق سبب
اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفه في الارض فاحكم بين الناس اذ لم

خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة والية يرمز قوله عليه السلام
ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة
المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما
يقول الجاهلون علوا كبيرا واليها الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام
مرضت فلم تعدني فقال كيف ذلك قال مرض عبدي فلان ولو عدته
لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل
بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان
القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر
والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى صلوات الله عليه
فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال
آخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل
واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر

فهو الاقوى ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه
الوجد في قول القائل لا زلت انزل من ودادك منزلا
تتحير الالباب عند نزوله
فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب قد قطعت رؤوسها حتى تقطعت
قدماه وتورمتا ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب
واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من
اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا
وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند
ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند
العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب
من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب
والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد احد بوصف
محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد
الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجمال
والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا

فلا جرم لا تكون في حبه شركة ولا يتطرق النقصان الى حبه كما لا
يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذن لاصل المحبة ولكمال المحبة
استحقاقا لا يساهم فيه اصلا. بيان ان اجل اللذات واعلاها
معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر
عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة. اعلم ان اللذات تابعة للادراكات
والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة
لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز
ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور
هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام
فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها و
غريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام
فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة
السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والاستنشاق فلا تخلو
غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها
فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله

صدره للاسلام فهو على نور من ربه وتسمى العقل وقد تسمى البصيرة
الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي
فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في
المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب
فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست
متخيلة ولا محسوسة كادراك خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر
حكيم موصوف بصفات الالهية فلنسم تلك الغريزة عقلا بشرط
ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد
اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة
التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات
فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها
فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع
سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى
ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي
ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد

يصبر عن التحرك بالعلم والتمدح به في الاشيا الحقيرة فالعالم باللعب
والشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر
ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من كمال ذاته
به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكا وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع
الثنا كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة
العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر
الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته و
ملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم
وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال
الناس ويخبر بها يجد له لذة فان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه
فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان
ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان
اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امور الوزارة
فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن

احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك
اطيب عنده والذ من علمه بباطن امر الوزير وكان تمدحه لذلك
وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم
فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم
فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري
هل في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشيا
كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل
يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبها والجلال
اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب
احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك
في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية
المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات
والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف
به كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار

وبهذا يتبين أن العلم لذيذ وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته
وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين
فينبغي أن تعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة
والغضب ولذة سائر الحواس الخمسة فان اللذات مختلفة بالنوع اولا
كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي
مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع
كلذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفايق
الجمال الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان تكون
موثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها
وبين استنشاق روايح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم
انها عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام ووقت
الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم
ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار
صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات
تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة

والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين
ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب
على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة
والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعدا ونيل درجة
الاستيلا فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمة
اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة
وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره
للرياسة يدل على انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم
الناقص الذي لم يكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت
قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يوثر لذة المطعومات على لذة
الرياسات وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من
جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال
حضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من
الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة
عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونحن الآن لا نعرفه الا
من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر
والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسه ويستحقر الخلق
الذين يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه
مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا
بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافه اليها لذة
معرفة الله تعالى ومطالعه صفاته وافعاله ونظام مملكته
من اعلى العليين الى اسفل السافلين فانها خاليه عن المزاحمات و
المكدرات متسعه للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها و
انما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا اخرج
النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف
بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها
ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها
اذ ثمار هذه الجنه غير مقطوعه ولا ممنوعه ثم هي ابديه سرمديه

لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفه الله تعالى اذ
محلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها
ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان تعدمها فلا
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الآيه ولا تظن
ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان العارف بكل نفس درجة
الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا
ليقتل مره اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهدا يتمنون
لو كانوا علما لما يرونه من علو درجة العلما فاذن جميع اقطار
ملكوت السماوات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشا
من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة
جمال الملكوت في جنه عرضها السموات والارض وكل عارف
فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون
في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة
معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم
فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنه اقوى في ذوي الكمال من لذات

الحواس كلها وان هذه اللذه لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه
وان لذه المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة
الرياسه ولكن يؤثرون الرياسه فاما كون معرفة الله تعالى وصفاته
وافعاله وملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم لذه من الرياسة
فهذا يختص بمعرفته من نال رتبه المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات
ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن
اثبات رجحان لذه الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان
ولا رجحانه على لذه شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفه التي
بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من افه العنه وسلم حاسه
شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال
من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب
معرفه الامور الالهيه فقد استنشقوا رايحه هذه اللذه عند
انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم
على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير
شريفه شرف المعلومات الالهيه فاما من طال فكره

في معرفه الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشي اليسير
فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به
ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوه فرحه وسروره وهذا مما
لا يدرك الا بالذوق والحكايه فيه قليله الجدوى فهذا القدر ينبهك
على ان معرفه الله سبحانه الذ الاشيا وانه لا لذه فوقها ولهذا
قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف
النار ولا رجا الجنه فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال
بعض اخوان معروف له اخبرني يا ابا محفوظ اي شي هاجك الى العباده
والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شي
الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شي القبر فقال
خوف النار ورجا الجنه فقال واي شي هذا ان ملكا هذا بيده
كله ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه
معرفه كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت
الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه
وراى بعض الشيوخ بشر الحرث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار

وعبد الوهاب الوراق قال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان
ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني
النظر اليه وعن علي الموفق انه قال رايت في النوم كاني ادخلت
الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه
من جميع الطيبات وهو ياكل فرايت رجلا قائما على باب الجنة
يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى
حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر
الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله
لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر
اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر بن الحرث واحمد بن حنبل
ولذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا
مشغول بنفسه ومن كان مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه
وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره
ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه
وقالت في معنى المحبة نظما

أحبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها
بحظوظه العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي
انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية
هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغاية
ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على
قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رايت جليسا ينادي
جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق
بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقلهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا
فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين

التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات
كلها وصار القلب مستغرقاً بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه
ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية
التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات كيف
يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله وماله صورة وشكل وأي معنى لوعد الله
تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف
أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه
اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من
جنته وما أرادوا بها إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله على لذة الأكل
والشرب والنكاح فإن الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته
في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو أن

الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب
واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة
ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر
بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصال
ثم تظهر لذة الرئاسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا
وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة
معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها
وكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير إذ يظهر حب اللعب
في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرئاسة
بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما
أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب
الرئاسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة
الله والعارفون يقولون إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون
فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة النظر

في الاخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم
الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة
من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى
وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم
غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا
فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا يرجع التفرقة الى اختلاف
بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق
لمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا
وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند
تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف
فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال
وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين
بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر
استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات
التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما

اولى والثاني استكمال لها وبين الثاني والاولى من التفاوت في مزيد
الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة
الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت
رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق
الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي
ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك
الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت
محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات
البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة
عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية
الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم
ولذلك قال الله تعالى لموسى لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار
اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى
ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات
الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم

على وجهها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل وهو الذي لا يخرج أبدا والعياذ بالله
علوا الخبث والصدى فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث
على وجهها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل وهو الممنوع عن ربه أبدا أعاذك
نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول
التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي
هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها
لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار سبعة
آلاف سنة ولن تخلو نفس عن هذا العالم إلا وتصحبها غبرة وكدورة
ما وإن قلت ولذلك قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس
مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها فإذا أكمل
الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة
ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة
وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فإنه واقع
بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه
ونقائه عن الكدورات حتى لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن يتجلى

فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة
إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله وهذه
المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذن الرؤية حق بشرط أن لا
يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة
ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته
في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير
شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة
في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح فت
نقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا
اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال
في استكمال الخيال بالرؤية فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات
صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها
في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لأنها هي بعينها إلا في
زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة
الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون

ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز
بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي
البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة و
الحب زرعا ومن لا نواة في ارضه فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر
فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في
الاخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي
ايضا على درجات متفاوته فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف
المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذور اذ
تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة
فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر و
المشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته
في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بشيء وقر في صدره فضل
لا محالة بتجلي انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة
الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف

مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية
على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك في الاخرة قوم
يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها
الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا
ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية
على لذة المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك
لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت
انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم
يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الاخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة
في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الاخرة اذ ليس يستانف لاحد في الاخرة
ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا
على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة
هو الذي يتنعم بها بعينها فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء
فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال
صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة

ان لكل احد منهما ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقا الله تعالى فلا لذة له في
غيره بل ربما يتاذى به فاذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله
بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها
بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة
فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها
الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها
فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة
فمن خلى عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة
وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم
وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في
الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها
لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقا والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية
الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الجماع واظهار عظم التفاوت
بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق

في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه
فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال
قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من
ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه
برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه
على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة
المضاجعة مع ثوب حايل كادراكه مع التجرد والرابع
اندفاع العوائق المشوشة والالام الشاغلة للقلب فليس التذاذ
الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخايف
المذعور او المريض المتالم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر
عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر
رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع
عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه
الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت
على الفجاة حالة انهتك بها الستر واشرق بها الضوء واندفع عنه

المؤذيات وبقي سليما فارغا فهجمت عليه الشهوة القوية والعشق
المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى
للأولى إليه نسبة بحقارته فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة
المعرفة فالستر الرقيق مثال للبدن والاشتغال به والعقارب
والزنابير مثلا للشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش و
الغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس
في الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين
ومثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب
بالعصفور فالعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو
عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة نعم قد يضعف
هذه العوائق في بعض الأحوال ولا يدوم فلا جرم يلوح من جمال
المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر
لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض
من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهكذا
ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة

منغصة إلى الموت وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش
عيش الآخرة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من
انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا
يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكماله في المعرفة فإن المعرفة
كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالإحاطة بكنه جلال الله
محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وبأفعاله وبأسرار
مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما
كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا
في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادة
طول العمر في طاعة الله لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع
في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة و
الانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا
لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة
بالغا إلى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل

من لا معرفة له تحصل له بطول العمر وزيادة نفسه معرفة اعني انما
تحصل له قوة لو عمر وهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل
المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسع
اختاروا البقا وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره
الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة
اساس كل سعادة قد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق
فانه المحبة المفرطة اللذات عند دركي الكمال وان لم يكن
كذلك عند درك النقصان فما لم يكن الرياسة الذين المطعومات
عند الصبيان فان قلت فهذه الروية محلها القلب او العين
في الاخرة فاعلم ان الناس اختلفوا فيه وارباب البصاير لا يلتفتون
الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقله
ومن يشتهي روية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى انه
رويته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الروية ولذتها
سوا كان العين او غيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له
والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور

المعرفة ومعنى لذة المعرفة ومعنى اللذة
ومعنى لذة الروية ومعنى ... الذي هو ساير

عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الاخرة من
الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من
شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الروية والنظر و
ساير الفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر
الا لضرورة والله اعلم بيان ان الاسباب المقوية لحب الله تعالى
اعلم ان اسعد الخلق حالا في الاخرة اقواهم حبا لله فان الاخرة معناها
القدوم على الله ودرك سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم
على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من
غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف
انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب
ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب
لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب
واستيلاوه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك
عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق الدنيا
واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل

ما لم يخرج منه الحب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال
الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام ملتفتا الى غيره فزاوية من
قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب
الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه و
الى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله
اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان
العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد
بما يحبه ولذلك قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال
صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص
ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب
قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا
سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن
وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد

وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن
من المحبوب وتروح بالامن ابد الاباد واحد اسباب ضعف حب الله
في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد و
الاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان
المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت
الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس
بالدنيا فينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص
بقدره من الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق
الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امراته
الا ويضيق به قلب ضرتها والدنيا والاخرة ضرتان وهما
كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا
اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب
سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما
بزمام الخوف والرجا فما ذكرناه من المقامات كالتوبة
والصبر والزهد والخوف والرجا مقدمات ليكتسب بها

احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واولها الايمان بالله
واليوم الاخر والجنة والنار ثم تتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب
منهما التوبة والصبر عليها ثم يجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه
وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط
حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه وكل ذلك مقدمات
تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام
الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة ٥٥

السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى و
اتساعها واستيلاوها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع
شواغل الدنيا وعلايقها يجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تطهيرها
من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة
من الكلمة الطيبة التي ضرب الله مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما واليه الاشارة بقوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة ثم العمل الصالح يرفعه فالعمل
الصالح كالحمال له وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب

اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما
العلم بكيفية العمل يراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الاخر فالاول
علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفا القلب وطهارته لتتجلى
فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت
هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج
اذا ابصر الجميل فادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه
حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة
ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر
الصافي والذكر الدايم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله
وفي صفاته وملكوت سمواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة
ينقسمون الى الاقويا ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره
والى الضعفا ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل
والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم
عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني

الاشارة بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات
والارض وبقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين وهذا
الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه
اكثر دعوة القران عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر
في ايات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما
ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم
ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق على سائر الخلق فهو غامض والكلام
فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده في الكتب واما
الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت
الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ
النفس والمانع من ذكر هذا سعته وكثرته وانشعاب ابوابه
الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم
الارضين الا وفيها عجايب وايات تدل على كمال قدرة الله تعالى

وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية فالخوض فيه انغماس في بحار علوم
المكاشفة فلا يمكن ان نتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز
الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول اسهل الطريقين
النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية
كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجايبها فاقل
المخلوقات هو الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت
السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس
على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مايه ونيف وستين مرة فانظر
الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها
الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة
وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع
في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر
الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة
اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الى البحار فقال صلى الله عليه وسلم

الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف
بالمشاهدة والتجربة وعلموا ان المكشوف من الارض عن الما كجزيرة
صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق
من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات البعوض و
النمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتامله
بعقل حاضر وفكر صاف ثم انظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل
الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له
على شكله الصغير سائر الاعضا كما خلقه للفيل بزيادة جناحين
وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده
ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضا الغذا والاته
ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية و
الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر
الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف
هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت
له الة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو

محدد الراس ثم كيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه
في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه
المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري
فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه
ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد
الته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد
بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر
كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم
وجهه وانظر ان حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل الاجفان لصغر
وكانت الاجفان مصقلة لمراة الحدقة عن القذى والغبار خلق
للبعوض والذباب يدين فينظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق
لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة
فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب وخلق
الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار فتحسن ضوء العين

وشبكتها عند مجاري الغبار فتنظر من وراء اشفار الاهداب في
اشتباكها منع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض
فخلق له حدقتين مصمتتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل
باليدين ولاجل ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف
فهي تطلب ضوء النهار فاذا راى المسكين السراج بالليل ظن انه في
بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء ولا يزال
يطلب الضوء ويرمي نفسه الى الكوة فاذا جاوزها وراى الظلام ظن
انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليه مرة اخرى
الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان
جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات
الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات
من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال
يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا
مؤبدا فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها لاغترارها بظاهر
الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد

او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم
فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها
من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا
عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما
خفايا معانيها فلا يطلع عليه الا الله ثم في كل حيوان ونبات
اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه غيره فانظر الى النحل وعجائبها
وكيف اوحى الله اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج
من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء ثم لو تاملت
عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات
والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها
ثم ما سخر الله لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل
على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها اخر العجب
ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك و
شهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك

جميع ذلك وانظر الى بنايها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة
الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا
بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها
وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستديرة وما يقرب منها فان المربع
يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع
حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج
البيوت فرج ضايعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع
متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتوا
من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة
الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى
النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه
ليتهنى عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه
فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع
عنك عجايب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا
القاصر منه ينقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا
الى ما احاط به العلما والانبيا ولا نسبة لما احاط به علم الخلايق
كلهم الى ما استاثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق
ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله
تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة
تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقا الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك
واستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى
منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم
في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا
اذ الاشيا انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس
لهم من الله تعالى الا الصفات والاسما التي قرعت سمعهم فتلقفوها
وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما
لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا بها
ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهولاء هم اهل السلامة

من أصحاب اليمين والمتحابون هم الصالحون والعارفون بالحقائق هم
المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الأصناف الثلثة في قوله
فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية واذا كنت
لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول
اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام منهم والفقها
لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد
خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا
فتكون معرفة الفقيه به أتم واعجابه به وحبته له اشد فمن رأى
تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لانه
تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر
انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه
حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك
سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف
وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف واطلع على ما فيها
من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر

لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى
تصنيفا آخر احسن منه واعجب
تضاعف لا محالة حبه صح

فيكون له معرفة مجملة ويكون
له بحسبه ميل مجمل والبصير
اذا فتش عن التصانيف صح

والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم
بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده
وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى
يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير
فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال
صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب
صنع الله اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله
وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعني معرفة
عجائب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب
لا حصر له ومما يتفاوت بسبب الحب اختلاف الأسباب
الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا
اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير
بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة
الرضا والنعماء وأما من يحب الله لذاته ولأنه مستحق للحب
بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه

حنه تفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت
الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت
في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا ❊ **بيان السبب في قصور
أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى**

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى فكان هذا
يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام
وأسهلها على العقول ونرى الأمر بالضد من ذلك فلا بد
من بيان السبب فيه فإنما **قلنا** إنه أظهر الموجودات
وأجلاها لمعنى لا تفهمه إلا بالأمثال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب
أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات
وأجلاها فحيوته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى
عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته
الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه
وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها

نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك
من صفاته أما حيوته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه
حيوانا فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحيوته و
قدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس
ثم لا يمكن أن نعرف حيوته وقدرته وإرادته إلا بخياطته و
حركته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته
فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود
الله تعالى وقدرته وعلمه وساير صفاته تشهد له بالضرورة
كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر
ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر
وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا
وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا
وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في
علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل
والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد

وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة
وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها و
دالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات
المدركة لا حصر لها فإن كان حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس
تشهد له إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة
يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل
نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله
إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها
ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد
بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا
وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا
الظاهرة والباطنة فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم
أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود
مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو
شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت

عن إدراكه فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه
وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن
الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة
ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة
ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج
الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال
الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق
والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض
فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن
البصائر والأبصار بظهوره ولا تعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور
فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه
فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب
ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس
المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض
ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب

فكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الالوان وهي السواد والبياض
وغيرها فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما
الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا
تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت
بصفة فارقتها فاذا النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر
المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو
اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها ولو كان له عدم او غيبة
او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك
بذلك التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشيا
على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم
اورث شدة الظهور خفا فهذا هو السبب في قصور الافهام واما
من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره
لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله و
العالم وافعاله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها

عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور صح

بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال
كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شي من الافعال الا ويرى فيه الفاعل
ويذهل عن الفعل من حيث انه سما وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه
من حيث انه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر
انسان او خطه او تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى
اثاره من حيث انه اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم
على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله
فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا
بالله ولا محبا الا الله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا
ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال
فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول
من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة
عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور
قدرة العلما بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة
للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك

لغيبتهم عنها لا لعينها فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة
الله وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها
الانسان في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا
قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته
والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل
الفجاة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة
عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى
طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها
شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض
اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء
والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة
لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها
فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد
على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها
الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به

المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت
مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى **اعلم** ان من انكر حقيقة
المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا
الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف
مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار
والاثار **اما** الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب
وكل محبوب يشتاق اليه في غيبته لا محالة فان الحاصل الحاضر فلا يشتاق
اليه فان الشوق طلب وتشوق الى امر والموجود لا يطلب ولكن
بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه
فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه
لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال
الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مدا وما للنظر اليه

لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه
ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات
فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق
إلى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته
حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت
الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله وكذلك قد يراه
في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال
رؤيته وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه والثاني أن يرى
وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق إلى رؤيته
وإن لم يره قط ولم يثبت في نفسه خيال صورته عن الرؤية ولكنه
يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية
فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران
في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما اتضح للعارفين
من الأمور الإلهية وإن كانت في غاية الوضوح فكأنه من وراء
ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب

التخيلات فإن الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة
لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك
ينضاف إليها شواغل الدنيا فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق
التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق
فإنه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال
الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني أن الأمور الإلهية لا نهاية
لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها
غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم
أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا
مشتاقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل فيما بقي من المعلومات
التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق
الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة
ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين
فقال قلت ذات يوم يا رب إن أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن
به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت

في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني أن
تسألني ان اعطيك ما تسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق
قبل لقا حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي
وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك
واوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الاخرة واما
الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته
ان ينكشف للعبد في الاخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته
وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال
العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط
شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه يشوق
الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق
لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان يكون الطاف الكشف والنظر
متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الاباد
ويكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق
الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه

كان
كشف في الدنيا اصلا فان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا
على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يحتمل لهذا
المعنى وهو ان ينعم عليه بتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور
ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة
محاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل
على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم تزداد في الاخرة
اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر
ولم ينكشف لنا بعد فيه ما نثق به فنسأل الله تعالى ان يزيدنا علما
ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشفة
لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار فاكثر
من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك

وقال ابو الدردا لكعب اخبرني عن اخص آية يعني في التوراة فقال
يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقاى واني الى لقاىهم لاشد شوقا
قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني
فقال ابو الدردا اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هذا وفي اخبار داود ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي
اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب
لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك
يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي
من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل
الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي
وآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي
من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب
المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف
ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني
واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي

وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك
قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي
الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها
عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش
ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا
لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك
وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون
من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري
في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت
السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة
اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي اليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه
وفي اخبار داود صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى اليه يا داود
الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون
اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر
وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها

على سماء ثم ادعوا احبائي ملائكتي واذا اجتمعوا اسجدوا لي فاقول
اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لنعرض عليكم قلوب المشتاقين الي
وأباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سماء ملائكتي كما تضيء
الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني
ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع
نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون
في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود
ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شاب وفيهم كهول
وفيهم مشايخ واذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام
ويقول لكم الا تسألون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي
افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم
عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا
الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم
جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله
والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام

جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو
قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم
السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم
فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى
محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة
قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك
نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك
فيما مضى من اعمارنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء
وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق
اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب
رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا
ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افنجترئ على الكلام من هو
مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك

وقال الاخر كلت الالسن عن دعائك لعظم شانك وقربك من
اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت
قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في
شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك
وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك
هب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الاخر
ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الاخر نسألك تمام
نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة
لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال
الاخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها
وقلبي عن الاشتغال بالاخرة وقال الاخر قد عرفت تباركت
وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك
من كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت
كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه
وليجعل لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا

الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن
والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل
لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ
قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ
نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر
بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان
مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش ارويته
واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه
عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني
القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي
لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه
ونحل جسمه وتفتت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري
اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي
وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر
الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضا قل لعبادك

المتواجدين الي لمحبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب
فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت
عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا
التمستم رضاي وفي اخبار داود ان الله تعالى اوحى اليه يزعم انك
تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها
لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل الدنيا
مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان
لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا
علي ان ابادر الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك
من غير ان تسالني واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي ان لا
اثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي
وانه لا غناء به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة
عنك واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي
الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف الاشيا لا تضاد
عملك فتكون معنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تتخذ لمعرفتي حدا

فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا تجد لزيادتي
حدا ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم
وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك
في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرجوها وقد حجبت بانقطاع ثوابي
عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة
والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل
محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود
لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذا
ومن كتبته جهبذا لم يكن عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين
يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها
فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما
ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات
فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول
ادنى ما اصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته

عنط يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً يصدك بسكره عن محبتي أولئك
قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بإدمان
الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه يا داود
تحبب إليّ بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى
الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي
إذا مننت بها عليك وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي
وأوحى الله إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري
لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ وتقطعت
أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف
في المقبلين عليّ يا داود أحوج ما يكون العبد إليّ إذا استغنى عني وأرحم
ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا رجع إليّ فهذه
الأخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على إثبات المحبة والشوق
والأنس وأما تحقيق معناها فينكشف بما سبق **بيان**
محبة الله للعبد ومعناها **اعلم** أن شواهد القرآن
متظاهرة على أن الله يحب عبده ولا بد من معرفة معناه ولنقدم

الشواهد على محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى إن الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفاً وقال إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ولذلك رد على من ادعى أنه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم
وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله
عبداً لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا إن الله يحب
التوابين ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب
الماضية وإن كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط
الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب وقال
صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن
أكثر ذكر الله أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
وقال زيد بن أسلم إن الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول

اعلم ان ما سبق قد عرفت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر
وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليس بمجاز اما المحبة في وضع
اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل
الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا
وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد
منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا
بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم ينطلق عليهما
بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاشياء اشتراكا
لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده
مستفاد من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود
المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر
في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير
استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة
من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد
في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها وكل ذلك

لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا
للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها
في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة
فاتها ما يوافقها فيستفيد بنيله كمالا فيلتذ بنيله وهذا محال
على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في الالهية
فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده
ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره
الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله
ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى
يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه
الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال
نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث
هو متعلق بذاته فهو اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ
في حبه لعباده فهو مأول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه

حتى يراه بقلبه والى عينه اباه من القرب منه والى ارادته
ذلك به في الازل محبته لمن احبه ان ليحمها اضيف الى الارادة الازلية
التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف
الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث
بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب
عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك من فعل الله تعالى
ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك
قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه
لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره
في رأيه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه
ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب
عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد
ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال
الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ

من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب
بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى
رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد
انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني
بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب
هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع
والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب
بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا
ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار
قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله اذ التغير عليه محال
بل لا يزال من نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل
الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين
قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل
القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات
ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال

العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك فالنزول
الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترقي من حضيض الجهل الى سماء
العلم ولا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ
ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان تفهم ترقي العبد في درجات القرب
فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت
قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار
اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله
بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته
وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك
العبد في درجات الكمال متناهي ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا
مطمع له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية
له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله للعبد
تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن
كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه
بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال

الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك
منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله فان قلت
محبة الله للعبد ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول
يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا
ولا اهلا وعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه
وبين غيره قيل لعيسى لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله
من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه
فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك
تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه
قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه
فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها
عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له
واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال اذا اراد الله
بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان
ذلك

بل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى
الله أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه
والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد
لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه
والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف
له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله
للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فإنها أيضا علامات
حب الله للعبد ❊ **القول في علامات محبة العبد لله تعالى**
اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى
فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت
محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين
والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء و
ثمارها تظهر على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار
الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار
ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب

بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام ولا يتصور أن يحب القلب
محبوبا إلا ويحب مشاهدته ولقاءه وإذا علم أنه لا وصول
إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبا للموت
غير فار منه فإن المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر
محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول
إلى المشاهدة وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم
وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد
حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود و
قد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله
حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة
علامته فقال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما
الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته
وبيء فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت

وهو يذكرك وان ضيعت وصيتي لم يكن غايب ابغض اليك
من الموت ولن تعجزه وروي عن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني
ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية
فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو
غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم
ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله
من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت
قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط
وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله اخر قسمه كما ابر اوله
وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب
لان الحبيب على كل حال لا يكره لقا حبيبه وقال البويطي لبعض الزهاد
اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته
وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال

انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضا الله افضل من طلب القرب
منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول
كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا وللتاسف على فراق الاهل والمال
والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو
الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد
شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبه قريش في ذلك وقالوا
انكحت عقيلة من عقايل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها
واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف
وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم
فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب
ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقا الله عند القدوم عليه على
قدر حبه له وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها

وأما السبب الثاني لكراهة أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة
وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل
على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه
عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه
فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق
فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلا وعلامته الدؤوب
في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها أن يكون
مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب
اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله
ومتقربا إليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب
المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تعالى
المحبين بالإيثار فقال يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم
ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك
المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي
أن زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف صلى الله عليه وسلم انفردت عنه
وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه
نهارا فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت إلى النهار فقالت يا يوسف
إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبته
محبة سواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله جل ذكره أمرني بذلك
وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها
سكنت إليه فإذن من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقيل أيضا

وأترك ما أهوى لما قد هويته ... فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لأن محبته لله
سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه وإذا أحبه الله تولاه ونصره

على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى
شهواته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى
بالله نصيرا فإن قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول إنه
يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض
ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل
على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب
فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي أن نعيمان كان يؤتى به
رسول الله في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها إلى أن أتي به
يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى
[صلى الله عليه وسلم]
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله
ورسوله فلم يخرجه بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية
عن كمال الحب وقال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر
القلب أحب الله حبا متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحبه
الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر
ولذلك قال الفضيل إذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فإنك

إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر
المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل
المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة
والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومن علاماتها أن يكون مستهترا بذ
[…ذكر الله تعالى]
لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر
بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره
وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه
[وسلم]
وحب كل ما ينسب إليه فإن من يحب إنسانا يحب كلب محلته فالمحبة
إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط
به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في الحب فإن من أحب
رسول المحبوب لأنه رسوله وأحب كلامه لأنه كلامه فلم يجاوز
حبه إلى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله
على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن
والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب
الأخوة والصحبة ولذلك قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني

يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله
لما يغذوكم من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفيان من احب من يحب الله
فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى
وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في بدء
الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت
عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك
تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال
فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي
وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان
كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن
فليس يحب الله تعالى قال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة
حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا
وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى

وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت
بانقطاع العوائق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم
بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من
مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل
من اين اقبلت قال من الانس بالله وفي اخبار داود لا تستانس الى احد
من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجلا استبطا ثوابي فانقطع ورجلا
نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه
في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا
من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود
الذي استسقى به موسى صلوات الله عليه ان الله تعالى قال لموسى
ان برخ نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال
يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا
عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر وقد عشش في شجرة
ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت انس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه

قال الفلان العابد استانست بمخلوق لاحطك درجه لاسالعاشق
من عملك ام ان علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال
التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق
عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا
بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت
هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم
يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة
فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين
يدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا
ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه
وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال
قتادة في قول الله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا
بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال
عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه
واوحى الله الى داود عليه السلم وكذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل

وقال الصديق من ذاق خالص
محبة الله شغله ذلك عن طلب
الدنيا واوحشه
صح

نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني
وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت
وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه
ثلث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على
لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتاسف
على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تاسفه على فوت كل ساعة
خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات
بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان لله
عبادا احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على فائته فلم
يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما
كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وهو المحب
اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل
بالعتاب ويساله ويقول رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني
عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك
منه صفاء ذكره ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون

فقويه سببا التجرد ذكره وصفا قلبه ومنها لم ير المحب الا
المحبوب فلم ير شيئا الا منه لم ياسف ولم يشك واستقبل الكل
بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها ان يتنعم بالطاعة
ولا يستثقلها وتسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل
عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة قال الجنيد علامة المحبة
دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقالت
بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلما
والله ما يشفي محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسايل وكل
هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي
في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على
بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشيا اليه ان تعاوده القدرة وان
تفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل
حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه
احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه

من المال ترك المال في محبته وقال بعض المحبين وقد كان بذل ماله
ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال
سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك
بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت
تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك
روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف لعبد
لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع
عباد الله رحيما عليهم شديدا على جميع اعدا الله وعلى كل
من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى اشدا على الكفار رحما
بينهم ولا تاخذه لومة لايم ولا تصرفه عن الغضب لله صارف
وبه وصف الله تعالى اولياه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف
الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون
لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا
فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه
اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا والصياح حتى يرد

حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاكل الشيء على ذكره وتشاغل
به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه
ومن اعطاه احبه واما الثمرة فانه لا يملك نفسه عن الغضب حتى
يبلغ من غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت
فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفى في الاخرة
شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم
في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين
كما قال الله تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال
يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
فانما طاب شراب الابرار بشرب الشراب الصرف الذي هو
للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان
الكتاب عبارة عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي
عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه
ارتفعت الى حيث يشهده المقربون فكما كان الابرار يجدون المزيد

في حالهم ومعرفتهم لقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك
يكون حالهم في الاخرة وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما
بدانا اول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم
فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب
كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور
مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع
بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب
عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند
مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان
مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها
يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فمن قضا شهوة
البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوام اخرون ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم اكثر

اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما فخمت الافهام
عن درك معنى العليين عظم امره تعالى وما ادريك ما عليون كما قال
القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة ومن شرط ان يكون في
حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف
ينافي الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان
ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة
ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض
واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة
هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله الا بعدا لثمود شيبتني
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه
في قلب من الف القرب وذاقه وتعزيه بحديث البعد في حق
المتبعدين تشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب
من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من ساكني القرب
ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات
القرب لا نهاية لها وحق ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون
ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال انه ليغان
على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله وانما كان
استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم
الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات
الى غير المحبوب كما روي عنه تعالى انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم
اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب
المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص فحجابهم
عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي
اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز
منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد
سمع ابرهيم بن ادهم قائلا يقول في سياحته وكان على جبل كل شي
لك مغفور سوى الاعراض عنا ه قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا ه
فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرء عليه
احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا

واستر حجب ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق في
الطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد
فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو
يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث
لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه
اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجا ويغتر بحسن الظن
او تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان
التي تغلب جنود الملايكة من العلم والعقل والذكر والبيان
وكما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب
وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح
فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة والاستغنا وذلك من
مقدمات المكر والشقا والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال
القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة
هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر

بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظايف الاوراد اسباب
هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل من
مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه
الامور وشدة الحذر منه بصفا المراقبة دليل صدق الحب فان من احب
شيا خاف لا محالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب
مما يمكن فوته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة
من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف
من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق
المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب
لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب
عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو
في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا
من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة
البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب هذا وروي في الا
ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه

ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وولِه
قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال
له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه
انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة المعرفة وذلك ان مائة الف
عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت
اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم
كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه
من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب عنه
جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من ذرة
فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين
وقد قيل في حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد والاوقات تجري له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد ينشد ابياتا تشير الى اسرار احوال العارفين وان كان
ذلك لا يجوز اظهاره وهذه الابيات شعر

سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى فصدرهم عنها لما فوق منهل
تروح بعز مفرد من صفاته وما كنه اولى لربه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه الى اهله في السر والصون اجمل

وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يسمع الناس فيها
ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف بل لو اشترك
الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة
الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم
فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا

بانفسهم وقد لو قفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انشر من العلوم
ولكن لله فيما هو فيه في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخبر اسرار وحكم
ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومن شرط كتمان الحب
واجتناب الدعوى والتوقي في اظهار الوجد والمحبة تعظيما
للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب
سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى
ويزيد عليه فيكون ذلك من الافترا ويعظم العقوبة عليه في العقبى
وتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكر في حبه حتى
يدهش فيه ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك
عن غير تعمل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما اشتعل
من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع
فيضانه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب قلت ما انا صانع
بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر بخاطر
يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول يخفي
فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس ويقول ايضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتمه وقال
بعض العارفين اكثر الناس من الله عز وجل بعدا اكثرهم اشارة به كانه
اراد يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد
ويوهم انه من عبد المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون
المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال
لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه
فقال ذو النون لكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل
استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات
واظهارها اظهار للخير فلماذا تستنكر فاعلم ان المحبة محمودة
وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى
والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون
اقواله وافعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب
ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب
اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب
وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم

سماك ما صنعت بنفسك فالذي يرى الحسنات تحركت به علانية
واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غيرك
فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق
اللسان واضطربت الاعضا فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى
من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروف الكرخي فتبسم
ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلا ومجانين فهذا الذي رايته
من مجانينهم ومن التظاهر بالحب سببه ان المحب ان كان عارفا وعرف
احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين
في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض
المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال
القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى
ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشيا من مكاشفات ايات
السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة

بعدد جميع ما خلق الله من شي فقلت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل
نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره
قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم
في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحيا
خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته
واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا
السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دوا ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا
طبيب حاذق فاخذنا قارورة مايه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر
مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي
ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم
قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول
قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي
ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه ويدل غشيته على انه افصح
في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب
وثمراته ومنها الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن

الذي ومكارم الاخلاق ثمرة المحبة وما لا يثمر المحبة فهو اتباع للهوى
وهو من رذايل الاخلاق نعم وتحب الله لاحسانه اليه وقد تحبه
لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين
ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا
ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا
انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان واما الخاصة فنالوا
المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما
عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق
عندهم المحبة بذلك لانه اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من
الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه
بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله وهو الذي تقدمت فيه هذه
العلامات او يتشبع نفاقا ورياء وسمعة وعرضه عاجل حظ
الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء
السوء واولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان
قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول

فلا يقال في اذن القايل شيئا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان
كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس
وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات المحب ابياتا وهي هذه

لا تخدعن فللحبيب دلايل ... ولديه من تحف الحبيب وسايل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلايل ان يرى من عزمه ... طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلايل ان يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلايل ان يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السايل
ومن الدلايل ان يرى متقشفا ... متحفظا من كل ما هو قايل

وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه

ومن الدلايل ان تراه مشمرا ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلايل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلايل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزايل

ومن الذل لابد ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل
ومن الذل لابد ان تراه راضيا مليكه في كل حكم نازل
ومن الذل لابد مضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة الا ان هذه اثار
مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا
غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر
قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج
له وهاج اليه فيسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة
الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور
بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال
الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب
بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز
والاستغنا وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم القلب
بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه عا

الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها
فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه
اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر
الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت
مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من
يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في
الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم يكن شهوته
الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل من
اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من
غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على القلب يعوق
كما روي ان موسى صلى الله عليه وسلم لما كلمه ربه مكث دهرا
لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام
المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك
قال بعض الحكما في دعايه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال
لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقال

[illegible]
[illegible]
[illegible]

لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل
وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك
الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة
من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة
الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفوا
الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكما
عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست
بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة
ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة
الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب
في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط
بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه
في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون

صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفا
الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته
وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق
والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات
بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولكن معرفتها الغالب على ذوي القلوب
ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى بن الحسن
النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم
مقام الرضا وقال ليس الا الصبر واما الرضا فغير متصور وهذا
كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور
وظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال
في طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز
الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله استحال عنده خروج الدهن منه
لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل
الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال
والانسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق
الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط
في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة
لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام
الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك
به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى
كليمه موسى صلوات الله عليه ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد
ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا
فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم
ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري
ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له
فسال عنه موسى صلوات الله عليه فلم يعرف فبينا موسى ذات
يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه
تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه

موسى صلى الله عليه وسلم بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال ما اسمك
فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج
فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي
بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد
ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق
الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع
ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل
بالمطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب
قال فرجع برخ فاستقبله موسى صلى الله عليه وسلم فقال كيف رايت
حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى به فاوحى الله اليه
ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات ○ وعن الحسن قال احترقت
اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ
امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ
فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي
عز وجل ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله

اخضلت اي ابتلت

خص بيت

صلى الله عليه وسلم

يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا
على الله لابرهم قال وقد جرى نحو هذا لابي عبيد الخواص فجعل
يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني
اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفا
قال فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله
مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك
غيره قال فوقف ابو حفص رحمه الله وقال وعزتك لا اخطو خطوة
ما لم ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص
فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال
الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء
هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم
يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم
واليه اشارة القايل [illegible]

قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا يستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف
مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت
فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا
اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول
القصص قصة آدم وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية
والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن
رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد
وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال اما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال الآخر اما من استغنى فانت
له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا
جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية وامره بالاعراض
عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد

بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة الآية فكذلك الانبساط والادلال يحتمل بعض
العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى صلى الله عليه وسلم
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل و
الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون قال ولهم علي ذنب
وقوله اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم
مقام الانس واللطف يحتمل وقد لم يحتمل ليونس صلى الله عليه وسلم دون
هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت
في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة وقيل لنبينا
صلى الله عليه وسلم لا تقتدي به وقيل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف
الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل و
التفاوت في القسمة من العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض

النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
فكان عيسى صلوات الله عليه من المفضلين والادلال له سلم على نفسه
فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا
انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس ولما يحيى بن زكريا
اقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام
عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف
وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى ليوسف و
اخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن مرادهم فيه
نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد تجتمع في الكلمة
الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل لعزير
مسألة واحدة فسأل عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة
وكذلك كان بلعم بن باعورا من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له
ذلك وكان آصف من المسرفين وكان معصيته في الجوارح فعفي عنه
فقد روي ان الله سبحانه اوحى الى سليمان صلى الله عليه وسلم يا راس
العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف

وأنا حلمت عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عطفة
من عطفاتي عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما
دخل صف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا
كثيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السما وقال إلهي وسيدي أنت
أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف أستعصم إن لم تعصمني
لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقت يا صف أنت أنت وأنا أنا
استقبل التوبة فقد تبت عليك فإني التواب الرحيم وهذا
كلام مدل عليه وهارب منه إليه وما ظهر إليه به وفي الخبر
إن الله تعالى لو حال العبد بتداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة
كم من ذنب واجترائه به عفرته لك قد أهلكت في دونه أمة
من الأمم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير
على ما سبقت به المشيئة الأزلية وهذه القصص أفردت
في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل
فما في القرآن شي إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى
إلى خلقه فتارة تعرف إليهم بالتقديس بقوله قل هو الله أحد

الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف إليهم
بصفات جلاله بقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو
عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد
إرم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعدو القرآن
هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه
أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده
ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاث وهو التقديس
وازنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من قرأ سورة
الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا
في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل
عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه
ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا
من هو مثله ودل عليه قوله لم يكن له كفوا أحد ويجمع جميع ذلك
قوله قل هو الله أحد وجملته تفصيل قولك لا إله إلا الله فهذه

أسرار القرآن ولا تنتهي أمثال هذه الأسرار في القرآن فلا رطب
ولا يابس إلا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن
والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا
تعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له
كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حد
استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار
فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر
معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما أردنا ذكره من معنى
الأنس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى
وما ورد في فضيلته

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهي من أعلى مقامات
المقربين وحقيقته غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه
من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله التأويل و
فقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا

إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي
وانخدع به قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار
من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على
سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس
حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فلنبتدئ ببيان فضيلة
الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية
تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه
كترك الدعاء والسكوت على المعاصي **بيان فضيلة**
الرضا **أما** من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا
عنه وقد قال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان
رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله تعالى
الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال إن الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور
في الصلوة أكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية

مطالب سكان الجنة وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين
فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر
نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما
رضوان الله عن العبد فهو معنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله
العبد ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه
ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة
فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم راوا
تمام الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا
بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام
رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة
في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها هدية
من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك
على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى
اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى

ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل
رضا الله وهو ثمرة رضا العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم
فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر انه قال حكماء علماء كادوا من [illegible]
ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا
ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق
رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان
يوم القيامة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون
من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا فتقول
لهم الملائكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون
هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقول لهم هل رايتم
جهنم فيقولون ما راينا شيئا فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا

ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى
هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا إذا خلونا
نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم
هذا وقال صلى الله عليه وسلم أعطوا الله تعالى الرضا من قلوبكم
تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وفي أخبار موسى صلى الله عليه وسلم
أن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا
فقال موسى عليه السلام إلهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى
قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا
صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل
فلينظر ما لله عز وجل عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه
حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام
ما لأوليائي والهم بالدنيا إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم
يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون
وروي أن موسى صلى الله عليه وسلم قال يا رب دلني على أمر فيه
رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه إن رضاي في كرهك

وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فإن رضاي في رضاك
بقضائي وفي مناجاة موسى صلى الله عليه وسلم أي رب أي خلقك أحب
إليك قال من إذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فأي خلقك أنت عليه
ساخط قال من يستخيرني في الأمر فإذا قضيته له سخط قضائي وقد روي
ما هو أشد منه وذلك أن الله عز وجل قال أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر
على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله
في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدابير وأحكمت
الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط
مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير
والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن
خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف
وفي الأخبار السالفة أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل
الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى
إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق
السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك

قبل ان اخلق الدنيا فتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل
ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق
ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة اخرى
لامحونك من ديوان النبوة وروي ان ادم صلى الله عليه وسلم كان بعض
اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله
على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه
كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له
بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا
فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة
واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم
الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم
وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته
ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمه
مخاصم يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود

عليه السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد
كفيتك ما تريد فان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد
واشد الاثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة
الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي
سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله عز وجل
وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال
الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال
عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا
في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضى عن الله عز وجل وقال
عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت
ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن
ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك
من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج من عيني
وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا
فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها

الباب مغلقا واستطلعنا فيها لننظر الى عملها فكانت تبيت قائمة وتصبح
دائمة وتظل ضاحكة وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت
قالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري
حتى قالت خصلة واحدة هي فيّ ان كنت في شدة لم اتمن
ان اكون في رخا وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت
في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع الحارث يده على راسه وقال
اهذه خصلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد
وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السما قضا احب من اهل الارض
ان يرضوا بقضايه وقال ابو الدردا ذروة الايمان الصبر للحكم
والرضا بالقدر وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت
من شدة او رخا وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا
فقالت اما تستحي من الله ان تساله الرضا وانت عنه غير راض فقال
استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله
فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل
يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى

وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله عز وجل
من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف
ذاك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم
قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد
من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم
مع الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمته
وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن
في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلا الا الصبر
فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا
ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهمة به فلا يخفى ان الحب
يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل
الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة
وهو لا يحس ولا يدرك الالم ومثاله الرجل المحارب فانه في حال
غضبه او في حال خوفه تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى

الدم اشتغل به على الجراحة من الذي يعدو في شغل قريب
قد يصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه من الذي
يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة بالمرة فان كان مشغول القلب
لم يحس بما ناله كنزع الموسى في الحجام وهو لا يشعر به وكذلك لان القلب
اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستولى عليه لم يدرك ما عداه
فكذلك العاشق المستغرق في العشق لمشاهدة معشوقه او محبته قد يصيبه
ما كان مؤلما بالمرة او يعلم لولا عشقه ثم لا يدرك حسه والمه لغمرة
استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا
اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل
واذا تصور هذا في الميسر بسبب حب خفيف يتصور في الامر العظيم
بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور
تضاعف الالم وكما تقوى محبة الصور الجميلة المدركة بحاسة
البصر فكذلك تقوى محبة الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة
وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا مقايسة لها جلال وجمال فمن
يكشف له شيء منه قد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس

ما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع
ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت
عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج
نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع
واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون
راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه
كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه
راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال
الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح
يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة
السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين
بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه
وشكر الله تعالى عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان
الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ
المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه

ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات
في حب الخلق وقد تواصفه المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له
الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو
الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة
مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى
المدرك للجمال فهي الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى
الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا
فاذا تصور استيلا هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال
الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها
الغلط ولا يدور بها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله
فرحا برزق الله مستفيدا بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا
امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود
وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى
ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سالت سريا السقطي
هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم

العين

وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شي
بحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث
مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم
ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت
ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت
الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي
اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة
النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت
بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا
وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون
قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد
الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي
لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة
بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل
مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذا الا النظر الى وجه يوسف

[illegible] عليه السلام

كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس
بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن
لاستهتار من ملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك قال سعيد بن احمد
رايت بالبصرة في خان عطا بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى
والناس حوله وهو يقول شعر

يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل انه كان يهوى
فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلم
قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه وذهب بصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني
بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك
الامل يا بر يا وصول وروي عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له
ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا
الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر

في جنازته وما رجل ابدا سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان
حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية
له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون
عليه الماء ويحمل لهم خباهم والكلب يحرسهم فجا الثعلب فاخذ الديك
فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق
بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم
اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم
فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذ اولئك لما كان
عندهم من اصوات الكلب والحمار والديك فكانت الخيرة لهولا
في هلاك هذه الحيوانات كما قدر الله تعالى فاذا من عرف
خفي لطف الله رضي بفعله على كل حال ويروى ان عيسى عليه السلم
مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه
من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا
من خلقه فقال له عيسى عليه السلم يا هذا اي شي من البلا
اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه

ما دخل في قلبي من معرفته فقال له صدقت فهات يدك فناوله
يده فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه
ما كان به فعجب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير
رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي أخذ مني
واحدة وايم الله لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت
ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان
ما أبالي أيهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه
البذل وقال أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا
فما لي منه إلا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة
وأدخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية
الرضا عنه فقال الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني
جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة
لقسمه وبدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت
به من قسمه وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى منعه
الإحساس بألم النار فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في

استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار واستيلاء هذه
الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيدا من أحوالنا الضعيفة ولكن
لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو
عاجز عنه يعجز عنه الأولياء وقال الروذباري قلت لأبي عبد الله بن الجلا
الدمشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا
الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا إن كان هذا من طريق الإشفاق
والنصح للخلق فأعرف وإن كان من طريق التعظيم والإجلال
فلا أعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى
بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له
في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف
وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك
على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فإن أحبه إلى الله أحبه إلي
ثم قال أخبرك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت
إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك
أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة

فمن شاهد بعينه في بلائه كيف لا يكون أصابه قال ودخلنا على
سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف
فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت
الضجعة ودبرت الحراقف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ
شرابا منذ كذا فذكر أياما وما يسرني أن نقصت من هذا قلامة ظفر ولما
قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس
يهرعون كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة
قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني
وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها
فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله
عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري
وضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له
خبر فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي
عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد أنه قال ١٥
أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد

في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت
مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان
أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد
بن زيد ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي أخبرني
عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت
عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال
لولا أني أستحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة
ومعناه لم يفتح لك باب القلب فترقى إلى درجات القرب بأعمال
القلوب وإنما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لأن مزيدك منه في
أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي
في البيمارستان وقد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك
فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال لو كنتم ادعيتم محبتي إن صدقتم
فاصبروا على بلائي ثم قال الشبلي

إن المحبة للرحمن أسكرني
وهل رأيت محبا غير سكران

وقال بعض العباد كلما يلقى الله عز وجل ولعله قد كرهه

وذلك أن أحدكم لو كان له إصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها
شلل ظل يواريها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس
يتفاخرون بها والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه وقيل إنه
وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك
فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين
فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا
من قوله الحمد لله فإذا تأملت هذه الحكاية قد عرفت قطعا أن الرضا
بما خالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات
أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم
كان ممكنا في حب الله وحظوظ الآخرة قطعا وإمكانه من وجهين
أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة
وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه
مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب
في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه
ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل

شعر
وما لجرح إذا أرضاكم ألم وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولي
الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة
على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده لفقد سببه
وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين
عجائب أعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي
قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية
مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت شعر

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت
مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه
فحركناه فإذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي
وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال إلى متى
ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله أني صادق فيما أورده حتى لو قلت
مت لمت فقال إن كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا

وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب
فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر
إذ قالت الجارية آه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده
وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت أصابعه فقالت
الجارية له ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد
بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع
قد أشرف على الناس ويقول شعر

من مات عشقا فليمت هكذا ... لا خير في عشق بلا موت

ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتا فهذا وأمثاله قد يصدق به
في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة
الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية أوفى
من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك
الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع
ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد
وأن ينكر أيضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام
الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها في
السعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه
وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا أن المعاصي
والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل
بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء على ما نقلناه
في كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان صلى الله عليه وسلم
في أعلى المقامات من الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وأما إنكار المعاصي وكراهتها
وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا
به فقالوا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد
منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر
كفاعله وعن ابن مسعود إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه

مثل من رضا جنيه قبل لم كيف ذاك قال فبلغه فيرضى به وفي الخبر
لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله
وقد امر الله بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل
آتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر
ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل
لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعله

واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد
فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء وقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي
الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق
وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال ايضا المرء مع من احب
وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا

ذكرناه في بيان الحب والبغض في الله من كتاب آداب الصحبة
وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت
الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير
قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كان بقضاء الله
فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع وهو
متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة
في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف
على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات
مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض
بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد
من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد
ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك
الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره
موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه
مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى

من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه
تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه
الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد و
المقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك
الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز
بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا
وهو اني اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطر وذلك الى الشتم لي
حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه
فاعلم انه ايضا عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي و
محبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب
البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل
من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول
اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه
للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك

وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان
من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادا لك
منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت
فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي
فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا
في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث
انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك
على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل
منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته
اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى
تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له
لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط
المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما
بغضه لك فاني راض به من حيث انك اردت ان يبغضك
اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه

من حيث أنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامتحانه
لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته
لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف وكل ذلك من حيث
مرادك فهو مرضي وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه
مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها
لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره
وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه
ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله
دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب
المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب
للعجم الذي ضربناه المثل ليجره الضرب الى الغضب والغضب
الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كان بتسليط دواعي المعصية عليه يضاهي بغض
المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره
لاسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي
المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده

ومقته فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله
ويمقت من مقته ويعادي من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره
وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة
وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد
عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة
للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده
وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب
في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم
مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد
من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما
داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد
مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال
انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا
مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت
والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله

فلا نفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الان بيان الامكان
فيما العتريه الخلق من الجمع بين الرضا بقضا الله ومقت المعاصي مع انها
من قضا الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا
يعرف ايضا ان الدعا بالمغفرة والعصمة من المعاصي وساير الاسباب
المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضا الله فان الله تعبد العباد
بالدعا ليستخرج الدعا منهم صفا الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع
ويكون ذلك جلا للقلب مفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف
كما ان حمل الكوز وشرب الما ليس مناقضا للرضا بقضا الله في العطش
وشرب الما طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب
الاسباب فكذلك الدعا سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا
ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل
واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا
مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلا في معرض الشكوى
وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار البلا على سبيل
الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف

من حسن الرضا بقضا الله ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض
الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتا فهو شكر والشكوى مناقض
للرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضا الله لان
مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القايل
الفقر بلا ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك
قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكه ويقول
ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري
ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

واعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر بها الطاعون
يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهر المعاصي لان كل واحد منهما فرار
من قضا الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد
بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحا
وبقي فيها المطعونون مهملون لا متعهد لهم فيهلكون هزلا
ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف

ولو كان ذلك الفرار من القحط لما كان لمن قارب السلوك في الأطراف
وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف المعنى ظهر أن
الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار
مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى
المعاصي وإلى الأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية
ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة
على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت
الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد
يزدرى فيها نعمة الله ويستصغر فيها معصية الله ولما قدم
خراسان قيل له كيف رأيت بغداد فقال ما رأيت بها إلا شرطيا غضبان
أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغي أن يظن أن ذلك من الغيبة
لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك
تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وكان مقامه ببغداد يتربص
استعداد القافلة ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا
لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز

وكعب الأحبار وقال ابن عمر رضي الله عنه لمولى له أين تسكن فقال العراق
قال فما تصنع به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض له قرين من البلاء
وذكر كعب الأحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه
الداء العضال وقيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام
وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض أصحاب الحديث كنا
يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه
وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال يأتينا
أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة
وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش
وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان
أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا
البلد آثر في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور فقال بعضهم
وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدلك
على أن من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام
بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة

فتاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون
راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب متعلقا
قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك
لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين قال تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء
من اسباب نقصان الدين المحنة رضا مطلق الا من حيث اضافته
الى فعل الله فاما هي في انفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف
العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلثة رجل يحب الموت
شوقا الى لقاء الله ورجل يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال
لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة
الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا
واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفين الثوري ويوسف
بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاة قبل اليوم واليوم
وددت اني ميت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة
فقال يوسف لكني لا اكره طول البقا فقال سفين لم قال لعلي

اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب اي شيء تقول
انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري
من عينيه وقال روحانية ورب الكعبة ٭ **بيان جملة**
من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك
محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل
له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة
وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص
واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت عن كل بدل خلقا
من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال
ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه
فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت
نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورايت في ذلك
اليوم وليا لم اعرفه **وقيل** لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا
عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا
ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا ايضا

لا احوز ان اطلعكم عليه قال فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك
قال نعم دعوت نفسي الى الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب
الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ه وحكي عن يحيى بن معاذ
انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهده انه من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر
مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض
ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند
السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم طي
الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك
فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال
حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فراني
فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متى انت ها هنا قلت منذ حين
فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني
في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين
وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي السموات
واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال

سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنه
فاسألك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك
ولافعلن بك اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه
فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك
سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه
مني لا احب ان يعرفه سواه وحكي ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض
المريدين وكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعباداته
ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني
عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد
هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رأيت الله تعالى
فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي
فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة
كان انفع لك من ان ترى الله تعالى سبعين مرة قال فبهت
الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذاك قال له ويلك انك ترى الله تعالى
عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له

على مقدار ما تعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال
في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان
يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروه على ظهره
فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه
فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره
اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه
سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق
عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل
الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل
اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال ان لله
عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه
الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال
لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع
ذكرها حتى قال لو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه
امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو

عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل
عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله
لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له فلذلك
كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى
وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا
مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو
في مثل حالهم لانهم الامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين
حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة
وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت
اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال
وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي
لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل
اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها
المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما شاهده
في نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه

أحوال يظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع
الأعمال ظاهرا وباطنا ثم مكانته ذلك عن الخلق بستر الحال
حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن
كدورة الالتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له
مبادئ الحق فإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري
مجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا تشكلت
ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر إلى ما في يده
من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي
شيئا من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرائي فيها عند ظهور جوهرها
وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء
إذ لا مستند له إلا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك
في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يستروح روائح المكاشفة من سلك شيئا
ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر الحافي بأي شيء بلغت هذه المنزلة

فقال كنت كاتما لله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري
وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال
يسر الله عليك طاعته قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل معناه
سترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت إليها وعن بعضهم
أنه قال أقلقني الشوق إلى الخضر فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه
ليعلمني شيئا كان أهم الأشياء علي قال فرأيته فما غلب على همي ولا همتي
إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئا إذا قلته حجبت عن قلوب
الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل
اللهم أسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني
في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره
ولم أشتق إليه بعد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم
فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة
يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه
عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ووجود قلبه
واستقامة حاله في ذلته وخموله فهكذا حال أولياء الله ففي أمثال

هو لا ينبغي ان يطلبوا في المغمورين فانما يطلبون تحت المرقعات
والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله
على اوليائه تابى الا اخفاهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم
غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه
له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن شمام هذه
المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها
واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذلة انفسها على
استشعار الذل وانقصر لم يحس بالذل كما لا يحس العبد
بالذل بما يرفع عليه مولاه فاكل من يحس بالذل ولم يستشعر ايضا
لعدم النهاية في الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى
جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار
التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق
مبادي هذه الروايح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا
الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر
ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر

مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى صلى الله عليه وسلم قال
لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم
لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولهذا انتهى المريدون لولاية
الله تعالى في طلب شروطها الى اذلال النفس الى منتهى الضعة
والخسة حتى روي عن استاذ الجنيد وهو ابن الكريبي ان رجلا دعاه
ثلث مرات الى الطعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد
ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة داره فساله عن ذلك فقال
قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب
يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة
ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة
فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعمدت
على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت
وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا
الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف
بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى خلصهم الله

من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه
محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب
وبين الله حجاب بعد ولا حايل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها
او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم
القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما
انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام
ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيا وانا اصدق به واحبه
فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثماية سنة وقمت ليلها ما وجدت
من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دوا قال
نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل
قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا
اللباس واتزر بعباه وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع
الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق
وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك
فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك

قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك
فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدي بهذا قبل كل شي
فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد
هو دوا من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا
المرض دوا سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر
امكان الشفا في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا
المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا
القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك
مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشي احب اليه من كثرة الشي
وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث
من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لايم ولا يراي
بشي من عمله واذا عرض عليه امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة
اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان
العبد حتى يكون فيه ثلث خصال من اذا غضب لم يخرجه غضبه

من الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول
ما ليس له وفي حديث آخر ثلث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود
العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله
في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لأهل
الإيمان فالعجب ممن يدعي علم الذوق ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه
الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون إلا بعد
مجاوزة مقامات عليه عظيمة وراء الإيمان وفي الأخبار أن الله تعالى
أوحى إلى بعض أنبيائه إنما أتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون
له هم غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وإن حرق بالنار لم يجد لحرق
النار وجعا وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما فمن لم يبلغ إلى
أن يبلغه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات
والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان
ومقامات الإيمان تتفاوت في الزيادة والنقصان لا محالة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه إن الله تعالى قد أعطاك
مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم

وفي حديث آخر إن لله تعالى طينة أنه خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد
دخل الجنة تعالى فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها
من كل ذلك يا أبا بكر وأحبها إلى الله تعالى السخاء وقال صلى الله عليه وسلم
رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة
فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح
بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا
من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى
يعني نفسه **خاتمة الكتاب** نختم بكلمات
متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب
وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات
المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى
من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن
عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة

وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال
ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقال
داود السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم وانت غريب
يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم
عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيا ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت
شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني فان قصرت في نظري عميت
وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادم لها حبيبنا
معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلم اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه
حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم
سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر
بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابرهيم بن ادهم

[illegible] المحبة لا تزن عند صاحبها تعوضه في حب ما ذكر متى
[illegible] ذكرك وقرة عيني ان تتفكر في عظمتك وقال
[illegible] حب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق
[illegible] في الاثر وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم
فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب
المخلوقين وسئل عيسى صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال الرضا
عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة
انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي المحب دهش في لذة وحيرة
في تعظيم وقيل المحبة ان تمحوا اثرك عندك حتى لا يبقى فيك شي
راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار
والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات
والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب
عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب
اربع منازل على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم وافضلها التعظيم
[illegible] لانهما تبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم

عبرتها وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل
واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر
بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا
وتروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات
تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت
من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى
وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكني
لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه فاوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي
بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت
اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي
في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني
وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي
وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر
العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون

…جا ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي
… يا داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين
…وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام
يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق
اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه
لمن يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي
وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني
وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله عز وجل انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي
والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد
خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح
جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا

ان الله تعالى وارواح المؤمنين روحانيته فلولا [illegible]
وارواح الغافلين بهوائه فلذلك مالوا الى الدنيا وقال [illegible]
رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن [illegible]
الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما [illegible]
ان الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في [illegible]
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات هذا القدر كاف
في شرح المحبة والانس والشوق والرضا
فلنقتصر عليه والله اعلم بالصواب

تم الكتاب
بحمد الله تعالى

الحمد لله رب العالمين الصلوة على نبيه محمد واله اجمعين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقع الفراغ من نسخه يوم الاحد وقت العصر [illegible]
من شهر [illegible] سنة ثمان [illegible] وثمانمائة





نسخه کتب خواجه عبد الجبار

احیا بخط ابو النصر شروانی معالم السنن فنون الـ

اصلاح المنطق وجیز غزالی دیوان ابو تمام وحماسه

کتب عجم

نسخ

وسیط علی واحدی مهذب شیخ ابو اسحاق نصر لغة وجمل عبد

مجملین المنهاج مختصر غریب الحدیث غرائب مصادر

مرجمان القرآن معتبد الاوائل مختصر عین مرجان

اداب حمید الحویه غریب القرآن عیر ....

خط محمد ابو القاسم علی ...